دُروسٌ مِنْ هَدْيِ ٱلْقُرْآنِ ٱلْكَرِيمِ

سِلْسِلَةُ دُرُوسِ رَمَضَانَ

(الدَّرْسُ ٱلثَّالِث)

سُورَةُ البَقَرَة

مِنَ الآيَةِ ﴿٢١﴾ إِلَى الآيَةِ ﴿٣٩﴾

أَلْقَاهَا ٱلسَّيِّد/ حُسَيْن بَدْرِ الدِّين الحُوثِي

بِتَارِيخ: ٣ رَمَضَانَ ١٤٢٤ هـ
المُوَافِق: ٢٠٠٣/١٠/٢٧ م
ٱلْيَمَن - صَعْدَة

هذه الدروس نُقِلَتْ من تسجيل لها في أشرطة كاسيت،
وقد أُلْقِيَتْ ممزوجة بمفردات وأساليب من اللهجة المحلية العامية.
وحرصاً منا على سهولة الاستفادة منها أخرجناها مكتوبة على هذا النحو.

إعداد/ يحيى قاسم أبو عَوَّاضَة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين.

اللهم اهدنا وتقبل منا إنك أنت السميع العليم، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم.

نريد أن نتعلم من خلال القرآن الكريم: أساليب القرآن، ومنهجية القرآن الكريم؛ هذا مما يحتاج إليه الإنسان بالنسبة لنفسه، ومما نحتاج إليها في تعليم الآخرين، في تعليم الناس أسلوب القرآن نفسه في الخطاب.

أول (سورة البقرة): ذكر فيها المتقين، ذكر فيها نوعية من الكافرين، وذكر أيضاً نوعية أخرى: المنافقين. وأسلوب القرآن الكريم عندما يذكر فئات مُعيَّنة، أو عندما يذكر متقين، ويذكر مؤمنين، ويذكر منافقين وكافرين، هو في نفس الوقت يأتي بنماذج من أعمالهم، يأتي بأشياء تُعبِّر عن مشاعرهم، وما بداخل أنفسهم، أي: يُجلِّي المنافقين، ويذكر في نفس الوقت الأشياء التي قد تكون من العوامل التي تؤدي بالإنسان إلى أن يصبح منافقاً. المتقون كذلك، يذكر المتقين، ويُبيِّن التقوى ما هي، ويُبيِّن أيضاً أعمال المتقين كيف تكون – عادة – مشاعر المتقين، لا يأتي فقط بالمتقين بالمؤمنين بالكافرين بالمنافقين ولا ندري كيف، بل يُبيِّن، يُوضح.

نتلمس في باقي السورة شيئاً من التفصيل لِمَا جاء في أولها: المتقون ذكرهم، مثلاً جاء الحديث من خلال هذه الآيات بالشكل الذي يوحي للناس بأن الإنسان مفطور أساساً على الحرص على أن يقي نفسه من أيِّ شر، من أيِّ ألم، من أيِّ عذاب، وهذه نقطة هامة جداً، هي قضية ملموسة لدى الناس: أن كل واحد يكون حريصاً على أن يقي نفسه.

إذاً هذه تُعتبَر قضية مساعدة جداً لمن يتحدث مع الناس، لمن يعمل على أن يرتقي بنفسه إلى درجة المؤمنين المتقين، وأن نعرف بأن الإنسان نفسه مفطور على الحذر على أن يقي نفسه مما هو شر، من العذاب، من الأشياء التي هي ضر، هو فقط يحتاج إلى تذكير مستمر، تذكير مستمر.

فعندما تذكّر الإنسان بقضية أن فيها خطورة عليه، تُقدِّمها بشكل واضح، تُبيِّن له طريقة الوقاية منها، هنا يوجد تجاوب في داخل نفسيته، عادة يوجد تجاوب، وهذه من الأشياء المهمة أن هذا الدِّين كما قال الله عنه: ﴿فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾(الروم:٣٠) هذه تساعدنا على إزالة مفهوم – تقريباً – قد يكون نتيجة أننا لا نستقرئ فطرة الناس، وتكون النتيجة عند هذا الشخص: (أن هؤلاء ما رَضُوا أن يسمعوا، ولا رَضُوا أن يفهموا ولا يريدون الحق، ولا، ولا) بهذه الطريقة يكون سريعاً إلى أن يتوقف!

لا، افهمْ: أن الإنسان مفطور على أن يقي نفسه؛ فعليك أنت أن تطور أسلوبك، فتعرف كيف تخاطبه حتى يتبين له فعلاً أن القضية الفلانية تشكّل خطورة عليه، تُبيِّن له أن عملاً مُعيَّناً أو تقصيراً في عمل مُعيَّن يؤدي به إلى أن يشقى في هذه الحياة، يؤدي به إلى أن يغضب الله عليه، يؤدي به إلى أن يُعذب في جهنم، ثم تُبيِّن له ما يشكّل وقاية من هذه وباستمرار.

الإنسان بحاجة إلى التذكير المستمر، التذكير المستمر، ومعك في داخل كل إنسان ما يساعد على تفهُّم وتقبُّل ما تُقدِّمه إليه، وإذا كنا قديرين على تقديم الأشياء للناس، وأعتقد لا يوجد أحد يُعتبَر قديراً إذا لم يكن مخاطباً للناس بالقرآن نفسه، القرآن هو أعلى أسلوب في الخطاب للآخرين، هو أبلغ موعظة، أرقى تذكير، أوضح تبيين، يَذكر كيف نخاطب الناس، بل كيف نخاطب أنفسنا. هذه قضية أساسية: لا بُد من التذكير المستمر، التذكير المستمر.

جانب آخر: الخطاب بدأ في أول السورة، فيما سمعنا بالأمس من التلاوة، ألم يأتِ فيه – إذا صحت العبارة – لهجة قاسية حول الكافرين وحول المنافقين؟ ثم جاء بعده بعبارة لطيفة ورقيقة: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾(البقرة:٢١) إذاً ألم يتحدث هنا عن التقوى، وجاء بعبارة لطيفة ورقيقة؟ هذا من الناحية النفسية أسلوب من الأساليب الهامة. عندما تخطب في الناس وتكون خطبتك من أولها إلى آخرها كلها كلاماً ساخناً على مِنوال واحد مثل بعض الخطباء! هذا ليس أسلوباً صحيحاً. عندما تكون في فقرة من الفقرات في موضوع من المواضيع تتحدث بلهجة قاسية فمناسب جداً أن تنتقل إلى أسلوب آخر لطيف تقول: (أيها الإخوة: نحن يجب أن نكون كذا...) بأسلوب لطيف، بحيث يكون له وقعٌ في النفوس، لكن أن تأتي بطريقة واحدة، روتين واحد في الخطبة: إمّا شدة من أولها إلى آخرها، أو كلام بارد، وأسلوب متثاقل من أولها إلى آخرها، هذا غير صحيح. تقليب الموضوع بخطاب ما بين شدة ولين من الأساليب المؤثرة.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ خطاب للناس جميعاً ﴿اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾(البقرة:٢١)

اعبدوه هو، عبِّدوا أنفسكم له، هو ربكم، هو القائم على تربيتكم، هو الذي خلقكم وخلق الذين من قبلكم الذين أنتم جئتم بعدهم وفرع منهم. ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ من أجل أن تقوا أنفسكم من أشياء كثيرة مما يذكرها في آيات أخرى، هو يذكر بالنسبة للضالين، بالنسبة للذين هم غير متقين، يحصل لهم في هذه الدنيا شدائد رهيبة، يحصل نقص في البركات، نقص في الخيرات، يحصل شقاء في الحياة، يحصل ضنك في المعيشة، يحصل خزي، يحصل ذلة، قهر، استضعاف، أشياء كثيرة جداً، الإنسان يكرهها بطبيعته، وبفطرته يمقتها.

﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ عبادة الله تشكّل لكم وقاية من كل ما تريدون أن تقوا أنفسكم منه، وكل ما أنفسكم مجبولة على الحرص بأن تتقي منه تبتعد عنه وتكون بمنأى ومأمن عنه، هنا قال: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ ألم يذكر هناك المتقين: ﴿هُدىً لِلْمُتَّقِينَ﴾(البقرة:؟)؟ ذكر صفات المتقين، ثم وجَّه إلى أشياء مُعيَّنة تجعلكم متقين، تكونون بها متقين. وغالباً ما تأتي هذه العبارة في بعض المواضع مطلقة: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ هنا تُحمل على إطلاقها فعلاً، أي: في عبادة الله ما يُعتبَر وقاية لكم من كل الشرور، من كل المصائب، من ضنك المعيشة، من الشقاء، من الظلم، من القهر، من الإذلال، من الخزي في هذه الحياة، ووقاية مما في الحياة الأخرى أيضاً سوء الحساب وجهنم.

إذاً عندما تأتي إلى هذه الأشياء تسردها على الإنسان أيّ إنسان كان حتى ولو كان غير مسلم، عندما تسرد عليه: الفقر، ضنك المعيشة بشكل عام، الشقاء، الذلة، القهر، الاستعباد، الخزي، أليست كلها ممقوتة عند الناس؟ أليس كل إنسان يحب أن يقي نفسه منها؟ عندما تقول له: هناك نار شديدة، قبل أن يجادلك (يوجد نار أو لا يوجد نار) تقول له: افترض أنه يوجد نار ألستَ تحب أن تقي نفسك من أن تعذب بنار شديدة؟ لأجاب: بلى.

جاء الخطاب في البداية: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ خطاب للناس جميعاً، لكل الناس أن يتجهوا إلى عبادة الله، فعبادة الله تشكّل وقاية لهم من كل ما هم مفطورون على الحرص بأن يقوا أنفسهم منه.

﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً﴾(البقرة:٢٢) لاحِظ هنا في هذه العبارة كيف هي رقيقة بشكل عجيب، لم يُقدِّم الله سبحانه وتعالى نفسه بأنه جبار تقول: (يجب أن يقي الناس أنفسهم من واحد جبار، غليظ، قاسي، شر كله) فيتقونه رغماً عنهم؛ لأنهم لا يستطيعون أن يقوا أنفسهم منه إلاّ بهذه الطريقة. الناس في الدنيا يصلون إلى حالات من هذه، في هذه الدنيا يكون هناك طرف من الأطراف لا يُقدِّم أيَّ خير، كله شر، وتراهم يحرصون على أن يقوا أنفسهم من شرّه بأيِّ طريقة، يؤيدون معه، ينفذون أوامره، وليس فيه أيُّ خير لهم؛ ليقوا أنفسهم من شرّه.

أمَّا الله سبحانه وتعالى فليس بهذا الشكل، الله يقول: هو ربكم، هو الذي خلقكم. أليس كل واحد يَعتبِر أن وجوده نعمة؟ أليس كل واحد يَعتبِر جسمه بالنسبة له نعمة؟ توفر أعضائه وتكاملها يُبصر ويسمع ويتذوق ويمشي ويتحرك، أليست تُعتبَر نعمة؟ فلأنه هو ﴿الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾ فهو أملك بكم وهو المالك لكم، هو الذي أعطاكم نعمة الخلق، هو في نفس الوقت المالك لكم، لا يوجد أيُّ طرف آخر خلقكم فيكون الله إنما يريد أن يفرض نفسه على الناس وهم صنيعة طرف آخر أو إله آخر! لا، هو ﴿الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾ هو، فأنتم مملوكون له، وهو الأولى بكم.

ثم هو في نفس الوقت عندما يقول لكم أن تعبدوه فمعنى الآيات يُبيِّن ما يُقدِّمه للناس في الأشياء الكبيرة والصغيرة، هو الذي هيأ هذا المكان الذي هم مستقرون فيه: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا﴾ تستقرون عليها ﴿وَالسَّمَاءَ بِنَاءً﴾ مثّل السماء والأرض وكأنها غرفة واحدة أو بيت واحد، وهو الذي أسكنكم في هذا البيت الذي أنتم مستقرون عليه، وجعل فيه سراجاً في سقفه ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا﴾(الأنبياء:٣٢) يأتي في القرآن بهذا التعبير، أي: يمثل بالنسبة للأرض والسماء وكأنها غرفة واحدة، أو قاعة واحدة، الناس مستقرون فيها، وفيها كل ما يحتاج الإنسان إليه في استقراره، وفيها ما يحتاج إليه بالنسبة لمعيشته بكل أصنافها، فيها سراج منير بشكل قوي (الشمس) وفيها (القمر) نور معتدل بالنسبة لليل، وفيها (الكواكب) في الليالي التي ليس فيها قمر ليتمكن الإنسان أن يتحرك حتى في الليل إذا كان في حالة سفر لا يكون الظلام مطبقاً عليه تماماً.

﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا﴾(البقرة:٢٢) جعل لكم الأرض فراشاً، يوجد فارق أحياناً بين كلمة: ﴿خَلَقَ لَكُم﴾ و﴿جَعَلَ لَكُمُ﴾ قد يكون الشيء مثلاً موجوداً من قبْل وجود الإنسان لكن جعله يتكيف على هذا النحو. كلمة: ﴿جَعَلَ﴾ أحياناً قد تأتي للشيء الحاصل، الشيء الحاصل جعله على هذا النحو، كلمة: ﴿جَعَلَ﴾ هي تصرُّف

في الشيء الحاصل في كثير من الموارد التي تأتي فيها، الأرض هي مخلوقة من قبْل الإنسان، الأرض مخلوقة - الله أعلم - من قبل كم ملايين السنين، الله أعلم منذُ متى خُلقت، وخلق الإنسان بالشكل الذي تصبح هذه الأرض، وهذه السماء بما هي عليه وكأنها خلقت له، جُعلت له.

﴿جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً﴾(البقرة:٢٢) هي في نفسها مستقرة، ثم نحن في خلقنا نحتاج الاستقرار، الإنسان يختلف عن بعض المخلوقات الأخرى، لاحِظ مثلاً (الخفّاش) كيف يعمل! يتعلق بيد، يكون في السقف يتعلق بيد هناك!

الإنسان بطبيعته مفطور على الاستقرار؛ إذاً هو بحاجة إلى مكان يستقر فيه، ويلاحظ واحد نفسه متى ما كان هناك مكان مرتفع يكون الناس راغبين أن تكون مستقرة فيكون كل واحد يريد أن يُصلّح له مكاناً يستقر فيه، هذه فطرة عند الإنسان، فالله جعل هذه الأرض فراشاً، بسطها وجعلها فراشاً للناس يستقرون عليها.

﴿وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ﴾(البقرة:٢٢) إذاً الله سبحانه وتعالى عندما يدعونا إلى أن نعبده هو أيضاً يذكر أول شيء: أننا مملوكون له، ثانياً: أن نلحظ ما يُقدِّمه لنا إذا فينا معروف - إذا صحت العبارة - ونقدِّر له سبحانه وتعالى ما أسبغ علينا من النعم وما تفضل به علينا، وما بذله من إحسان لنا.

هنا جاء بأشياء جملية: الأرض، السماء، الماء، الماء من الناحية التفصيلية واسع جداً في الاستخدام ومتعدد الأغراض بالنسبة للإنسان يحتاج إليه بشكل كبير جداً ﴿وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ هو الذي أنزله، هو ينزله، لم يقل: "معكم ماء في السماء دبِّروا نفوسكم، فكروا كيف تعملوا حتى تطْلعوا وتحضّروه!" لا. هو ينزله، سحاب يسوقه محمل بملايين الأطنان من الماء وينزله هو، وعندما ينزله ينزله بطريقة لا تؤثر، لا يُنزله - مثلاً - كتلاً من البَرَد أو الثلج، أو ينزله قطراتٍ كبيرة مثل الخزانات، مثل الصخرات، أو وادياً يفتحه علينا من أعلى. بل ينزل بشكل قطرات، تنزل على الإنسان لا تؤثر عليه، على الأشجار، على الفواكه، على الثمار، على البيوت... لا تؤثر، ثم تراها تتجمع هذه القطرات لتعرف الفارق: أن في إنزال المطر في كيفية إنزاله مظهرٌ من مظاهر رحمة الله سبحانه وتعالى بالإنسان، رعاية. تأمل القطرات عندما تتجمع، اذهبْ وقفْ أمام الوادي، كيف يعمل الوادي؟ أليس يجرف الصخرات؟ سيجرفك ويوصلك البحر. كيف لو فتح المطر عليك بهذا الشكل؟ أو يأتي إلى بلاد وفتح عليهم وادياً من السماء سيجرف أموالهم ويدمِّر بيوتهم ومزارعهم.

﴿وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾ الثمرات المتعددة المتنوعة ﴿رِزْقًا لَّكُمْ﴾ هذا الرزق مخلوق لكم، أنتم بحاجة إليه في تكوين أجسادكم، وهذا الرزق منسجم مع حاجتكم، يلبي حاجتكم ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾(البقرة:٢٢) كيف تجعلون له أنداداً؟! يأتي ليعمل له شجرة، أو يعمل له صنماً، أو يعمل له أيَّ شيء آخر يعبده، ويصلي عنده ويتمسح به ويسميه إلهاً! ليس هو الذي خلقه، وليس هو الذي أنزل له من السماء ماء، وليس هو الذي أخرج به من الثمرات مختلف أنواعها لكم، فكيف تجعلون له أنداداً؟!

﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا﴾ لله أنداداً ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أنتم تعلمون هذه الأشياء، وهذه القضية معروفة عند الإنسان: أن الله هو الذي خلقه، قضية معروفة لدى الناس على تعاقب الأجيال: أن الله هو الذي خلقهم وخلق الأرض وخلق السماء، وجاء في آيات أخرى يُبيِّن هذه، عمل القرآن الكريم استبياناً للأمم كلها تقريباً من عهد نوح إلى أيام نزول القرآن الكريم وإذا كل الناس - فعلاً - مُقِرّون بأن الله هو الذي خلقهم، وهو الذي ينزل من السماء ماء، وهو الذي ينبت الزروع والأشجار.

إذاً نلحظ هذا من ناحية المنهج والأسلوب، وأن هذا الجانب مهم جداً في تذكير الناس، وفي الدفع بهم إلى عبادة الله سبحانه وتعالى، تذكير الناس بالله وبما أنعم به عليهم، تُذكّر حتى بالأشياء التي أصبحت عند الناس تبدو بديهية، لم يعودوا يلتفتون إليها، هذه الأرض على هذا النحو: ﴿جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً﴾ ذكّرْ حتى بنعمة الشمس. الإنسان أحياناً قد تصبح القضية عنده طبيعية؛ لأنه ألفها يومياً يومياً، نحاول أن نذكِّر أنفسنا ويذكر بعضُنا بعضاً بالنعم بما فيها النعم التي قد أصبحت لم تعد تؤثر فينا قد صارت طبيعية وبديهية لدينا لم تعد تثير لدينا أيّ تذكّر؛ لأن المسألة في دفع الناس إلى العبودية لله لا تتطلب منك أن تبحث عن غوامض الأشياء، بل بالواضحات، خاطب الناس بالواضحات، أي: بالأشياء التي هم قد ألفوها تماماً.

حاول أن تذكّرهم من جديد، وتلفت أنظارهم إلى أن يتأملوا ويتذكّروا. الشمس مثلاً أليست كل يوم تطلع؟ لا أحد منا يحاول أن يتذكر أنها نعمة، ناسين! شمس كل يوم كل يوم، لم نعد نتذكر أنها نعمة وتثير انتباهنا عندما تطلع! لكن لو نفترض أنها غابت شهراً - مثلاً - يصبح الناس في حالة سيئة جداً، ويضيقون من الظلام، ثم إذا

ظهر لهم بصيص من نور كيف ستكون حالتهم وفرحتهم عندما تظهر الشمس عليهم؟! جاء في آية أخرى في (سورة القصص): ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاءٍ أَفَلاَ تَسْمَعُونَ﴾(القصص:٧١).

عندما يأتي الخطاب هنا: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ ويأتي بعدها بعبارة: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ لم يأتِ بكلمة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ ثم يأتي بعدها بعبارة: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ هذه تأتي في مقامات أخرى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾(البقرة:١٨٣) أليست خطاباً خاصّاً؟ نستفيد من هذه عندما يقول: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ هو: أن تعرف مثلما قلنا سابقاً أن التقوى لدى الإنسان، أي: حرصه على أن يقي نفسه من أيِّ شر من أيِّ ضر من أيِّ عذاب، هي فطرة لديه؛ فحدِّث الناس.

لهذا جاء هذا الأسلوب في القرآن الكريم واسعاً، المشركون أنفسهم، الكافرون أنفسهم لم يكونوا مؤمنين بجهنم ولا مؤمنين بكثير من الأشياء التي تُقدَّم إليهم، ماذا يقول لهم؟ أليس يُخوِّفهم من النار؟ يُخوِّفهم من النار. إذاً هذا التخويف يعني ماذا؟ يوجد هناك قابلية لديه، لا يوجد أحد تخوِّفه من شيء ولا يخاف في أعماق نفسه، يُخوِّفهم بالنار وعلى ماذا؟ وعلى هذا النحو، أي: على استخدام هذا الأسلوب - إذا صحت العبارة - يخوفهم بجهنم حتى لو لم يكونوا قد آمنوا بها؛ لأن الموضوع أنه يأتي تخويف بجهنم، بسوء الحساب، زبانية جهنم: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ * ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ﴾(الحاقة:٣٠، ٣١) يُخوِّف بما حصل على الأمم الماضية، الإنسان حتى كحالة نفسية لديه عندما يأتي له تخويف من هنا ومن هنا ومن ذا وذا... أشياء كثيرة حتى لا تترك له الفرصة أن ينطلق ليقول: إنه كذب، كذب، كذب، كذب...إلخ. لا بُد أن تؤثر فيه، لا بُد أن تؤثر في نفسه.

أنت تستطيع أن تجعل الإنسان يتأثر فلا تترك له المجال ليتفرَّغ مع نفسه ليُكذِّب فقط، يُكذِّب يكذِّب، ويبقى مطمئناً وكأنه ليس هناك شيء. وهذه قضية معروفة عندما يأتي أشخاص يقومون بتخويف أحد (قالوا: سيأتي... وقالوا، وقالوا، وقالوا ذا، ذا...) أشياء كثيرة يخوفونه بها، سيرتبك بتعدّد الأشياء التي تخوّف بها، هذه تخيفه؛ لأنها تنسيه مسألة أن يُكذِّب، تستطيع أن تملأ ذهنيته؛ ولهذا جاء القرآن الكريم بهذا الأسلوب، ألم يُخوِّفهم بما أتى على الأمم الماضية؟ خوَّفهم بعقوبات فيما يتعلق بمعيشتهم، خوفهم بما كان يحصل على الأمم الماضية من اجتياح، أي: عذاب يجتاحهم نهائياً، خوَّفهم أيضاً بشدة المعيشة، بنقص الرزق، بنقص البركات، خوَّفهم بجهنم، خوَّفهم حتى بضرب الملائكة لهم عند النزع، عند الموت: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلاَئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ﴾(الأنفال:٥٠) يخوفهم عند البعث كيف سيقولون، يخوفهم في ساحة الحساب كيف سيحصل.

لذا تجد قائمة من التخويف واسعة جداً، هذه القائمة الواسعة جداً يوجد هناك في النفس ما يتقبلها، يوجد هناك في النفس ما يجعل الإنسان - فعلاً - يتأثر بها، تخويف متعدد؛ لأنه مجبول على أن يخاف مما فيه شر، مما فيه ألم، مما فيه ضر، مما فيه ما هو عذاب له.

هذه الآية تتوجه إلى أناس يبدو هم مشركون: ﴿فَلاَ تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾(البقرة:٢٢) كافرون، وهذا أسلوب من أساليب أن يتركوا ما هم عليه من شرك وكفر، ويعودوا إلى توحيد الله سبحانه وتعالى وعبادته. تجد في هذا الأسلوب ما يختلف تماماً عن أسلوب المتكلمين في كتب (علم الكلام).

هنا الله سبحانه وتعالى - وهذه تجدها تقريباً في كل آية من الآيات - يأتي باسمه في الموضوع، أي: نستفيد من هذه المسألة: أن الله معروف لدى البشر، أن البشر مؤمنون بالله، بأن هناك إلهًا اسمه (الله) هو الذي خلقنا، وخلق الأرض، وخلق السماء، وخلق البحار، وخلق...إلخ، قضية موجودة عند البشر، ليست المسألة أن هؤلاء أناس لا يوجد في ذهنيتهم أيُّ شيء من هذا، لا يعرفون شيئاً اسمه الله، ولا يعرفون أيُّ شيء من هذا، لا. القضية: هذا الخطاب يدل على أن الإنسان مفطور على ماذا؟ على معرفة الله سبحانه وتعالى، يعرفه.

وتجد أن هذه القضية من القضايا الهامة الأساسية، ولولا هذا لَمَا استقامت - ربما - نبوة، لولا أن هناك لدى الناس إيماناً بالله، أليس كل الأنبياء يأتون كرسل من جهة الله؟ وتنظر إلى خطابهم وإذا كل خطابهم هو خطاب رسول من جهةٍ هي معروفة عند الناس (الله) تجد هذا الأسلوب في كلام نوح ومَن بعده من الأنبياء إلى عند رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم).

عندما يقول: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ أليست هذه فيها ضمائر متعددة؟ من عند كلمة (رب) وفي نفس الوقت يأتي بكلمة (الله) ﴿فَلاَ تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ

﴿تَعْلَمُونَ﴾ هذه القضية هامة جداً: أن نعرف أن الله معروف عند البشر، الإيمان الجُمْلي هذا هو موجود عند البشر جميعاً. عندما جهل المتكلمون، أو قدَّموا فرضية هي: أن الله - عادة - لا يكون معروفاً أبداً، يفترضون أنه غير معروف نهائياً، في الذهنية صفر، لا يوجد شيء نهائياً! وانطلَقوا يُلفقون ويعتمدون طريقة منطقية في الاستدلال ليثبتوا أن هناك إلهًا هو: الله، على أساس قضية: (حادث ومُحدِث...إلخ). لو أن المسألة على ما يقولون هم لكان هذا الأسلوب غير منطقي، لو أن المسألة هي: أن الإنسان الكافر هو - عادة - لا يعرف الله نهائياً، لا يعرف شيئاً اسمه الله لكان هذا الأسلوب غير منطقي عندما يقول: ﴿اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ لماذا لم يأتِ بعبارة: (أليس هناك أشياء وهي مُحدَثة؟ أليست هذه لا بُد لها من مُحدِث؟ أليس هذا يدل على أنه لا بُد أن هناك مُحدِثاً؟! إذاً...إلخ) لا يوجد، بل يُقدِّم اسمه في الموضوع.

إذاً عندما يأتي القرآن الكريم - وهو كلام الله سبحانه وتعالى - على هذا النحو ويبرز المتكلمون بطريقة أخرى! هذه الحالة نقول عنها أحياناً: إن الناس هم بحاجة إلى أن يعرفوا أن الله هو أعلم منهم. الإنسان أحياناً ينسى، يتصور وكأنه قد صار أعلم من الباري، أعلم من الله! الله يقول: ﴿أَلاَ يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾(الملك:١٤) هو أعلم، يُقدِّمون فرضية: أنه لا يوجد في الذهنية إيمان بالله ومعرفة لله عند البشر؛ طلَع القرآن في الأخير غير منطقي في أسلوبه، عزلوه على جنب فعلاً، لم يعد منطقياً في أسلوبه؛ لأنهم يرون كلاماً موجهاً من عند الله، كهذه الآية، أحياناً يأتي بكلمة: (رب) أو (الله) أو (رحمن) أو أيِّ اسم من أسمائه وتجدها مليئة ضمائر تعود إلى اسمه، لاحِظ كيف يوجد هنا: ﴿اعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾ لم يقل: اعبدوا الذي خلق سماء وخلق كذا وخلق كذا... قال: ﴿رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾ ثم قال: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ﴾ ولذلك كلمة (رب) بعدها كلمة (الله) ﴿فَلاَ تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾(البقرة:٢٢).

حصلت مشكلة كبيرة في الموضوع، في الأخير تتحول ذهنية الإنسان وهو باحث عن الله، باحث عنه، يشغلون أنفسهم في بحث عنه! هذه قضية غير طبيعية، وغير منطقية، لا يمكن هذا: أن يكون هناك إله ونقوم نحن نبحث عنه (ما أدري أين هو!) لا يمكن هذا، حتى ولا محافظ محافظة، أو رئيس دولة (معكم رئيس أين هو؟ ما اسمه؟) باحثين عنه في شوارع صنعاء! "مدوِّرين" وباحثين عن أدلة على وجوده ما أدري أين! هذا ليس أسلوباً.

الله سبحانه وتعالى هو رب الناس وملك الناس وإله الناس، لا بُد أن يكون قد فطرهم على معرفته، وهذه قضية يقول فيها الإمام محمد بن القاسم: ليس فقط الإنسان بل - تقريباً - كل مخلوقاته: (أن الله غرز فيها معرفته) أي: الإيمان بأنه موجود، الإيمان بالله، إله اسمه (الله) أو على حسب اختلاف اللغات، المهم أنه في الذهنية واحد، وهذه من الأشياء العجيبة: أنه في الذهنية لدى البشر واحد، هذه هي من أهم الأشياء في مجال الدعوة إلى الله مع أمم متعددة اللغات.

عندما بُعث رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) وهو يدعو إلى الله، إلى توحيد الله، إلى عبودية الله، وسمع به الفرس، وسمع به الروم، سمع به أفارقة، أصحاب لغات أخرى، هل يمكن لأحد منهم أن يتبادر إلى ذهنه بأن محمداً يدعو إلى إله عربي؟ يعرفون أنه يدعو إلى ماذا؟ إلى الإله الذي هو في ذهنيتهم جميعاً واحد، في ذهنيتهم جميعاً: الفرس والروم والأفارقة وغيرهم. هم فعلاً لا يقولون: إن هذا نبي يدعو إلى إلهٍ ثانٍ عربي، لا، هم يعرفون بأنه يدعو إلى الله الذي هو في الذهنية واحد وإن اختلفت تعبيراتهم فيما يتعلق بماذا؟ بترجمة اسمه الذي هو عَلَم لذاته سبحانه وتعالى (الله).

هذه القضية هي قاعدة هامة جداً جداً في موضوع الدعوة إلى الله. لو لم تكن هناك في الذهنية هذه الحالة الواحدة: التقاء لدى البشر، التقاء ذهني بمعرفة الله سبحانه وتعالى لَمَا صلحت دعوة، ولا تجاوب أحد، ولفهموا أنك قد صار لديك إله آخر تدعو إلى اللات أو إلى العُزى أو إلى... لكن هو هنا عارف أنك تدعو إلى الإله الذي هو يعرفه، الذي خلق السموات والأرض وخلقه و.. و... هو يعبر عنه بما يساوي كلمة (الله) على حسب لغته.

﴿فَلاَ تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾(البقرة:٢٢) كلمة ﴿أَندَادًا﴾ تعني: مماثلين، أشياء أخرى سواءً بشكل آلهة أو حتى طاعة أشخاص، أحياناً قد يجعل الناس لله أنداداً من طواغيتهم، أو تجعل هواك أنت نداً لله، أي: عندما تصبح أنت تطيعه وتعصي الله، تستجيب له ولا تستجيب لله، تؤمن به وتتعامل مع الله وكأنك كافر به ألم تجعله وكأنه إله؟ ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾(الجاثية:٢٣) في هذه العبارة سخرية، أو عبارة استنكار ﴿فَلاَ تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا﴾ إذا كان العربي الأول، أو الإنسان الأول

– مثلاً – يعمل أنداداً أحجاراً أو أشجاراً هي قضية قد تصدق على غيرهم ممن يجعلون آخرين من البشر أنفسهم أنداداً لله. مثلاً الحكام الذين ينظرون إلى رئيس أمريكا فيخافونه ولا يخافون الله، يطيعونه فيما هو معصية لله، أليسوا قد جعلوه نداً، جعلوا منه إلهًا؟ وهذه نفسها ذكر في القرآن ما يؤكدها في موضوع الشيطان نفسه لَمَّا سمَّى البشر الذين يمشون على وساوس الشيطان ويتبعون خطوات الشيطان سماهم عابدين له: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لاَ تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾(يس:٦٠).

لا يكون فقط في ذهنيتنا ﴿أَندَادًا﴾ أولئك الأولين الذين كان معهم أصنام، يمكن أصناماً من البشر، وقد تخافه أكثر مما تخاف ذلك الصنم الحجر، وقد تخضع له وتطيعه وذهنك متوجه إليه بخوف ورغبة ناسياً لله سبحانه وتعالى؛ هنا كأنك تجعله نداً لله، كأنك تجعله مماثلاً لله؛ فتعطيه ما هو لله وما هو مختص به. ولأن المسألة أنه لا يوجد شيء في الواقع يمكن أن يكون نداً لله على الإطلاق، لكن أنتم تجعلون! يقول للناس: ﴿فَلاَ تَجْعَلُوا﴾ أنت الذي تأتي إلى شيء آخر فتجعله في تعاملك معه، في رغبتك إليه ورهبتك منه وطاعتك له بالشكل الذي وكأنه ند لله، أي: جعلت له نفسك، عبّدت له نفسك وتوجهت إليه أنت بالشيء الذي كان يجب أن يكون لله، أي: قد جعلته أنت وكأنه مماثل لله، وند لله، وهذه تصدق في القضية التي هي تُعتبَر خارج خط الله، خارج صراط الله المستقيم، الإنسان عندما يكون خارجاً عن صراط الله المستقيم يكون مُعرَّضاً فعلاً لهذه الحالة: أن يجعل لله أنداداً سواءً هواه أو أشخاصاً آخرين أو كيفما كان.

أمَّا أن يكون الناس على صراط الله المستقيم فعندما نطيع أحداً وهو يهدينا إلى الله فإن المسألة كلها: نحن وهو في اتجاه لماذا؟ لطاعة الله ﴿مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾(النساء:٨٠) هل هنا كانت هذه المسألة سواءً بالنسبة للشيطان أنه من يطع الشيطان فقد أطاع الله؟! لا، لأن الشيطان خط آخر وطريق أخرى. أليس الشيطان شيئاً غير الله، ومحمد (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) أيضاً شيء آخر غير الله؟ معلومٌ، لكن لماذا كانت هذه طريقة يمكن وأنت عليها تجعل الآخرين أنداداً لله، وتكون في نفس الوقت ضالاً ويكون مصيرك جهنم؟ لأنه خط آخر، أمّا هذا الخط وفيه أنبياء الله سبحانه وتعالى وفيه أولياؤه عندما نسير في خطهم عندما نسير وراءَهم عندما نتبعهم إنما هو في هذا المسار، في مسار ماذا؟ صراط الله، طاعة الله، اتباعاً لله واهتداءً بهدي الله... إلخ.

﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِن مِثْلِهِ﴾(البقرة:٢٣) هناك تحدَّث عن الريب في البداية: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ﴾(البقرة:٢) إذاً هذا أسلوب من الأساليب، أول شيء قدَّم أنه لا يوجد ريب في هذا القرآن فقط ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ﴾ هذا أسلوب فيه فارق من ناحية التأثير على من تخاطبه، لو تأتي العبارة من أولها: ولم يكن قد قدَّم نفياً من الريب في قوله: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ ثم يذكر بعد فيقول: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا﴾ لكان الفارق فيما يتعلق بالتأثير ليس على هذا النحو، أي: لو جاء من البداية يقول: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا﴾ من ناحية التأثير في النفس يختلف فعلاً؛ لأنه أول شيء يبرهن على أن هذا الكتاب ﴿لاَ رَيْبَ فِيهِ﴾ ثم يقول: إذا عندكم ريب فهناك الطريق: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ﴾ ريب، أي: تشكك وتردد واضطراب (هو من عند الله، وأحياناً كأنه ليس من عند الله، هل هو من عند الله، أو ليس من عند الله؟) تردّد في الموضوع.

﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا﴾ أليس هنا يبرهن بالنسبة للقرآن أنه من عنده منزل على عبده رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِن مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ * فَإِن لَمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾(البقرة:٢٣، ٢٤) هذا – عادة – يقولون: بأنه تحدٍّ، أليسوا يستخدمون هذا الأسلوب: تحدٍّ؟ لا، العبارة ليست بالشكل هذا، هذه تراها لا تزال في إطار هذا الأسلوب الرقيق اللطيف من عند: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ إلى آخر الآيات، ثم قال: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِن مِثْلِهِ﴾ هذا أسلوب مهم جداً، ليس في المسألة تحدٍّ، بل العبارة نفسها – على حسب ما أفهم – ليست لائقة: (الله يتحدى). هي أسلوب من الله سبحانه وتعالى، هو توجيه وهداية وتبيين، ليس تحدياً لأطراف وكأنها أطراف تُعتبَر مماثلة أو مكافئة أو...! الكل عبيد له، الكل خاضعون له، ليس أحد منهم في مقام أن يتحداه، ليس أحد من مخلوقات الله في مقام أن يتحداه الله فيقال: تحداه! أنت إنما تتحدى الأقران، التحدي إنما يكون للأقران وللأَكْفَاء، لا يكون التحدي لمن هم ليسوا أقراناً ولا أَكْفَاء. بل هم عبيد خاضعون له ولا أحد منهم يعجزه.

هذه فيها معالجة من الناحية التربوية - إذا صحت العبارة - من الناحية التثقيفية فيها معالجة؛ ولهذا قال: ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ﴾ إذا كان هناك أيُّ ريب فارجعوا إلى هذا الكتاب مما نزلناه فأتوا بسورة. عندما يقول لك: ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ﴾ أليس الشيء الطبيعي بأنك سترجع إلى هذا القرآن تتصفحه وتتأمل فيه وتلاحِظ كيف أساليبه وتطّلع عليه من أجل أن تعرف كيف تأتي بسورة؟ لن تكمله إلاّ وقد صرت مؤمناً به ولم يعد هناك ريب، حقيقة، لهذا في هذا المقام قال: ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ﴾ أليس هذا مطلباً يبدو مطلباً سهلاً قال: هات سورة واحدة.

هذه الحالة قد تحصل عند الناس خاصة في ذلك الزمن، عندما نقول: بأن القرآن الكريم جاء على أرقى درجات الفصاحة والبلاغة هذه ليست إيجابية بنسبة ١٠٠٪ بالنسبة لواقع الناس؛ لأن الناس الذين يكون عندهم: (نحن في لغتنا فينا فطاحلة في مجال الفصاحة والبلاغة) هنا يقدِّر بأنه ربما قد يكون هذا نفسه إنما هو إنتاج شخص ولو كان على مستوى عالٍ من الفصاحة؛ لأن موضوع الفصاحة والبلاغة - أحياناً - لا يَعرف بأنه على أرقى مستوى إلاّ مَن هم ممارسون لها، أي: أدباء في اللغة مثلاً شعراء أو أناس معايشون للغة ولأساليب اللغة: خطباء مثلاً وشعراء، هؤلاء هم الذين قد يلمسون فعلاً بأنه فوق؛ لأنهم يعرفون - تقريباً - حدود البلاغة على حسب معرفتهم، لكن بالنسبة للجماهير أو للعامة الذين يسمعون منهم، وهم في مجتمع فيه الخطب الراقية والقصائد الراقية، أي: مجتمع فصاحة وبلاغة، أليس هكذا؟ أليس قد يحصل معه ارتياب نوعاً ما بأن هذا فعلاً كلام فصيح وبليغ لكن ربما محمد كواحد من الفصحاء البلغاء؟

فإذا افتُرض أن هناك ريباً في أنه هل هو من عند الله أو بعضه أو من محمد أو...؟ ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِن مِثْلِهِ﴾ اجعل لك مشروعاً أن تأتي بسورة من مثله. مثلما قلنا سابقاً الشيء الطبيعي لمن يفكر بأن يعمل شيئاً مماثلاً لشيء أنه أولاً يَطّلع على ذلك الشيء ويعرفه، أليس كذلك؟ عندما يقول: ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ﴾ أليس المفترض أنهم سيعودون إلى القرآن الكريم يتصفحونه من أوله إلى آخره ويتفهمونه ويستمعونه على أساس أن يعرفوا كيف الأساليب حتى يأتي بسورة من مثله؟ القرآن سيبهره، القرآن سيجعله يؤمن ويقتنع ويقول: لا يمكن أبداً، أي: أنه سيتلمَّس فيه ما يجعله مؤمناً بدرجة عالية.

ليس الموضوع موضوع تحدٍّ، هو موضوع توجيه تربوي. بل جاء مثل هذا بالنسبة للنبي (صلى الله عليه وعلى آله وسلم): ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكَ﴾(يونس:٩٤) ألم يقل هكذا لنبيه (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكَ﴾؟ ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِن مِثْلِهِ﴾ ستبحث وتخرج وأنت مقتنع، ولن تبحث حتى تأتي بسورة ولا نصف سورة، من الناحية العملية فعلاً لا يستطيع أحد.

قالوا: إن أربعة أشخاص في أيام الإمام جعفر الصادق (ابن المقفع) وثلاثة أشخاص آخرين، اتفقوا وأتمروا فيما بينهم أن يأتي كل واحد بمثل سورة من القرآن ويلتقوا بعد فترة، التقوا بعد فترة وإذا كل واحد قد سحرته آية واحدة من الآيات، بقي محتاراً فيها متردداً في فهم بلاغتها، انبهر جداً بأسلوبها الراقي وبلاغتها الراقية، حتى انبهروا، فلم يعد أحد منهم يفكر أن يعمل شيئاً نهائياً، رجعوا وهم منبهرون من القرآن نفسه. إحدى هذه الآيات: ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾(هود:٤٤) بسرعة عرض مرحلة، عبَّر عن حادث كبير جداً بعبارات مختصرة ﴿وَقُضِيَ الْأَمْرُ﴾. الثاني جاء بآية، والثالث، والرابع، كل واحد جاء بآية وقال: إنه ظل يفكر في هذه الآية، بهرته واندهش، نسي مشروعه الذي جاء لأجله!

من الناحية العملية - بالنسبة للناس - هذا سلاح مهم جداً أغفله المسلمون؛ لأننا نحن ننسى بأن الله هو أعلم منا! وهذه المشكلة، وهذا من الغرائب، يترك القرآن هناك ويبرز هو هو! نسي هذا الموضوع! وهذا الموضوع تكرر في القرآن الكريم، ورسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) كان يستخدمه هو، هذا القرآن الله نفسه يُوجِّه بهذا الأسلوب: ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِن مِثْلِهِ﴾ عندما يأتي مثلاً آخرون يقولون لك: الأحكام الفلانية والتشريع الفلاني في الإسلام هو كذا وفيه كذا... قل له: يا أخي هذا من القرآن وهذا من عند الله؛ تناقشْ مع الله، اقرأ كتابه وابحث كيف تأتي بسورة من مثله.

هو يوجه الإنسان إذا كان عنده أيُّ ريب أن يحاول أن يأتي بسورة. اجعلْه يرجع إلى القرآن، عندما تبرز أنت أحياناً قد لا تنفع أنت، بل ربما لا يتوفق الإنسان؛ لأنك عندما تبرز أنت في الأخير وعندك نوع من الشعور وكأنك أنت تستطيع أكثر من القرآن؛ لن تتوفق، هذه قضية، لم يتوفق (المعتزلة) حصل هذا الشعور تقريباً عندما

ترى كتاباتهم (علم الكلام) الذي كان نتاجاً لتفكيرهم، يبدو فيه أن كل واحد يرى نفسه أنه هو هو يستطيع! والقرآن هناك على جنب!

الناس مثلاً لو يأتي تشكيك، مهما يأتي من جانب الآخرين تشكيك سواءً في معتقدات مُعيَّنة أو في أحكام مُعيَّنة، فيما يتعلق بالمواريث بالنسبة للمرأة، أو بالنسبة لأشياء أخرى، بشرط أن يكون الإنسان عارفاً كيف القضية في القرآن نفسه، قل له: القرآن تناوله على هذا النحو، ونحن ملزمون بأن نطيع الله، وهذا الكتاب هو من عند الله – هو مؤمن بالله – إذا كان لديك ريب بأن هذا القرآن هو من عند الله فأتِ بسورة من مثله أنت أو أيُّ واحد عنده ريب. حاول أن تدفعه إلى أن يرجع للقرآن، لا أن تحاول أن تبعد القرآن وتبرز أنت فيما بينك أنت وإياه، بل تحاول كيف تجرجره إلى القرآن. هذه واحدة من الوسائل: كيف تجر الآخرين إلى القرآن، واجعله يرجع إلى القرآن في أيِّ تأهيل لديه سواءً هو قانوني، أو اقتصادي، أو تربوي، أو فيلسوف، أو كيفما كان، بل تعتبر وضعيته أقرب إلى أنه يفهم أكثر من العامّي منهم، فاجعله يرجع إلى القرآن.

عندما ترى العبارة هنا هل فيها شيء بالنسبة لمحمد (صلى الله عليه وعلى آله وسلم)؟ ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا﴾ فارجعوا إلى كذا...؟ بل قال لهم: أنتم ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِن مِثْلِهِ﴾(البقرة:٢٣) هذا يُسمَّى توجيهاً إلى قضية هي تُعتبَر حلاً يجرُّهم إلى القرآن؛ ليتفهموه، ولن يخرج أحد بعد القرآن وهو مرتاب إذا كان ينظر بموضوعية، بنظرة طبيعية، لا يكون قد صار عبارة عن شيطان ويدخل إلى القرآن ولديه أهداف سياسية مُعيَّنة، لديه عداوات مُعيَّنة، أي: عبارة عن شيطان، هنا ممكن أن يخرج من القرآن فاضياً؛ لأنه لا يمكن أن يستفيد منه! لكن إذا رجع الإنسان بموضوعية، بنظرة طبيعية، لا يوجد لديه تحامل، فلن يخرج من القرآن إلاّ وهو مصدّق بهذا القرآن.

﴿وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِن دُونِ اللَّهِ﴾(البقرة:٢٣) جمِّعوا كل طاقاتكم وكل أوليائكم الذين تدعونهم وتعتبرونهم أنداداً لله وآلهة من دون الله، وهم أيضاً اجعلوهم يتحركون معكم. فعندما يرجع إلى القرآن ويرى نفسه أنه لا يستطيع وَحْدَه، في نفس الوقت لفت ذهنه إلى الذين لهم مكانة في نفسه، شهداء، أي: أصنام آلهة مثلاً أنداد كيفما كانوا، فشلُه في الموضوع هو: أن يخرج من القرآن وقد صار منبهراً بالقرآن، في نفس الوقت ينسف الآخرين. هذا يوجد فيه نوع من التنبيه أو لفت لنظره بأنه: (واجمع أصحابك كلهم أولئك الذين أنت تُعتبَر أنت وهم خطاً وَحْدَكم وأنداداً، اجمعهم كلهم) إذاً أنت عندما تنبهر بهذا ألست ستتركهم كلهم؟

أيضاً شيء آخر استفدناه هو: أنه لا يأتي في الموضوع وكأنه هو وَحْدَه فقط فيخرج منه ولا تزال القضية فيما يتعلق بالأصنام الأخرى قضية وَحْدَها، لا، في الذهنية أيضاً اِجمع أصحابك أولئك، سينظر أنه كيف يكلم الصنم مثلاً؟! افترض أنه ليس صنماً، يبحث عن شياطين إنس، أولياء له من الإنس، يتجمَّعون مثلما تجمَّع الأربعة الذين كانوا في أيام (الإمام الصادق) أربعة تجمَّعوا فيما بينهم وأتمروا وكل واحد رجع، أليس كل واحد عندما يتراجع ويعرف أنه ما استطاع سيكفر بقدرات الآخرين في الموضوع؟ لن تبقى لديه فكرة (أنني عجزت لأنني وحدي فقط لو اجتمعت أنا وهذا وهذا وهذا يمكن أن نستطيع أن نعمل شيئاً) لا، عندما يخرج من القرآن بعد استعراضه سيرى بأنه قد انبهر من القرآن. وفعلاً إن القرآن فوق طاقات المخلوقين جميعاً بما فيهم هذا وهذا وهذا، الذين يمكن أن يتآمر هو وهم على أن يأتوا بسورة من مثل القرآن.

﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ في أنه محط ريب أو صادقين في أن هؤلاء شهداء من دون الله. عادة الإنسان يوجد عنده حالة في نفسه هو يَعتبِر نفسه صادقاً فيها وإذا كان مرتاباً أليس الارتياب يعكس حالة لديه مجمل هذه الحالة التي لديه أن هذا محط ارتياب، إذا كنتَ صادقاً بأنه محط ارتياب، أو كنتَ صادقاً بأن أولئك شهداء، أو كيفما كان الموضوع فلتَقمْ بهذه المهمة.

﴿فَإِن لَمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا﴾ من البداية يقنعهم، أيضاً هذه تساعد إذا لا يزال هناك في النفس بواعث مُعيَّنة أنه ﴿وَلَن تَفْعَلُوا﴾ هو قد أخبر من البداية: ﴿وَلَن تَفْعَلُوا﴾ أي: لن تستطيعوا أن تفعلوا هذه: أن تأتوا بسورة من مثله. إذاً هذه أحياناً يكون لها قيمة فيما يسمى بالاحتراس (أسلوب الاحتراس)[1]؛ لأن بعضهم قد يقول – هي جاءت من بعد في تفريعات علمية – بأنه عندما ينهى عن شيء أي أنه ممكن فعله. هنا قد قال: ﴿وَلَن تَفْعَلُوا﴾ بمعنى: أن هذه فرضية وليست قضية واقعية يمكن أن يفعلها الإنسان. ليس المعنى أنهم هم يستطيعون وإنما

(١) الاحتراس: هو أن يأتي المتكلِّم بعبارةٍ يَدْفَعُ بها إيهاماً اشتمل عليه كلامُه. مثل قول الله تعالى: ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاء مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾(النمل:١٢) عبارة ﴿تَخْرُجْ بَيْضَاء﴾ قد تُوهِم أنَّ بياضَها ربما كان عن بَرَصٍ، فجاءت عبارة ﴿مِنْ غَيْرِسُوءٍ﴾ للاحتراس لدفع هذا الإيهام.

نُهوا عن ذلك أو أنهم قد يستطيعون عندما يدعوهم إليه، لا، هذه هي عبارة احتراس ﴿وَلَن تَفْعَلُوا﴾ أي: لن تقوموا بهذه المهمة ولن تستطيعوا أن تأتوا بسورة من مثله.

ولهذا يقولون في الآيات التي فيها - مثلاً - خطاب للنبي (صلى الله عليه وعلى آله وسلم): ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾(الزمر:٦٥) يقولون: إنه لم ينهَه عن هذه إلاّ على أساس أنه ممكن أن يحصل منه، أي: هذا تفريع آخر وإلا فهي ليست قضية حقيقية لكن التفريعات التي جاءت بعد الخوض في أساليب الاستدلال والتعامل مع النصوص، مع الأدلة، ومع المنطق، وفي الأخير تطلَع هذه الأشياء!

ولهذا يأتون إلى تقييم الآيات التي هي موجهة إلى الرسول (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) فيقولون: فقط هو يُخاطَب والمقصود الآخرون؛ لأنه هو لا يمكن أن يحصل منه هذا الشيء، فعندما يُخاطَب بها هو فليس هو المعني بهذا إنما الآخرون! مثلاً عندما يقول: ﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾(الأنعام:١٥) قالوا هذه ليس معناها بأنه خطاب له هو بأنه قد يعصي وإنما خطاب موجه للآخرين بأن يعرفوا أن من حصلت منه المعصية وإن كان كمثل هذا فإنه سيؤاخذ. وفيها أيضاً فضح بأنهم لن يفعلوا، لن يأتوا بسورة على الإطلاق، لا يستطيع أحد أن يأتي بسورة على الإطلاق.

الجانب البلاغي مثلاً بالنسبة للقرآن الكريم عادة البلاغة هي قضية مرتبطة بالمعنى، مرتبطة بعظم المعاني، قيمة المعاني، سعتها، واقعيتها، ليست قضية مجرد لفظ، مجرد اختيار عبارات فقط. قد تسمَّى فصاحة فيما يتعلق بالكلمات، تأتي كلمات فصيحة وتُرَص رصاً جميلاً من الناحية الفنية، لكن في أن تسمَّى بليغة فالبلاغة عادة مرتبطة بالمعنى بعد ماذا؟ بعد الجانب الفني فيما يتعلق بالمفردات لكونها فصيحة. فيما يتعلق بالذوق، الذوق الفني عندما تسمع قصيدة مُعيَّنة قد ترى أبياتاً مُعيَّنة بيتين أو ثلاثة بليغة، أي: من الناحية الفنية رُصَّت بشكل جميل تتذوقها، لكن ليست القضية تنتهي إلى هذا بالنسبة للقرآن الكريم.

فمثلاً سورة من أقصر سوره وراءَها معانٍ هامة جداً، وراءَها واقعٌ تحكي عنه، يَمُرُّ الزمن تتعاقب القرون فتتسع معاني هذه السورة، مثل: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ * فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ * إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾(الكوثر:١-٣) أليست ثلاث آيات والبسملة؟ من الناحية الفنية نسميه التذوق، التذوق للعبارات، قد تحصل عبارات أخرى مثلاً في قصيدة تراها جميلة، لكن هل يقال لكون هذه جميلة أنه يعجبني أن أسمعها كما أسمع: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾؟ إذاً قد جاء بمثله! لا، افهمْ أن البلاغة مرتبطة بالمعاني في عظمها، قيمتها، واقعيتها، سعتها. بلاغة القرآن وإعجازه هو من هذه الناحية ليس من ناحية أنه قد جاء بكلام جميل، إذاً وآخرون يستطيعون أن يأتوا بكلام جميل.

﴿فَإِن لَمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ﴾(البقرة:٢٤) من يُخاطَب بهذه العبارات: ﴿فَاتَّقُوا النَّارَ﴾؟ أليس الكلام يُقدَّم من بدايته مع أناس هم يجعلون لله أنداداً وهم يعلمون، ويبدو لديهم ارتياب؟ هنا يذكّرهم بالنار ويأتي بكلمة: ﴿فَاتَّقُوا﴾ لتعرف أنها عندما تتوجه كلمة (اتقوا) إلى المشرك، إلى المؤمن، إلى النصراني، إلى اليهودي... أنك تلامس حالة لديه، هو إنسان يخاف من أيِّ شر ومن أيِّ ضر ﴿فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾(البقرة:٢٤) لم يبقَ أمامكم إلاّ أن تقوا أنفسكم من هذه النار، أي: وراء الارتياب في هذا القرآن، والإصرار على هذه الحالة من الارتياب، تجعلك بعيداً عنه، وراءها نار. إذاً أنت اُترك الريب وانطلق في عبادة الله، لا تجعل له أنداداً وانطلق بالتصديق بهذا القرآن، وبالإيمان به وبما تناوله لا يبقَ لديك أيُّ ريب، وإلاّ فوراء المسألة جهنم ﴿فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ وقودها الناس ووقودها حجارة، صخرات، أليس هذا شيئاً مخيفاً؟ أنت هنا تدفعه بشيءٍ مخيفٍ أكثر بأبلغ ما لديك من عبارة تجعله يتقي، والاتقاء معناه: أن يترك ما هو عليه ويعود إلى هذه الطريقة التي هي طريقة القرآن الكريم وما دعاه الله إليه.

نستفيد من هذه الآيات بأن هذا أسلوب قرآني في دعوة الناس إلى توحيد الله وعبادته: التذكير بنعمه بهذه الطريقة المليئة باسم الله، قل: الله هو الذي جعل كذا، الله هو الذي خلقنا وهو سبحانه وتعالى الذي أعطانا كذا وهو هو الذي... لا تذكر الأشياء مجردة وَحْدَها: (إبحث من الذي أعطاك كذا، والذي أعطاك كذا، والذي، والذي و...) فقط! لا بُد أن تأتي باسم الله في الموضوع، تأتي بذكر الله في الموضوع.

هذه قاعدة أخرى في مسألة الدفع بالناس إلى القرآن الكريم: استخدامه كسلاح أمام مرتابين أو مشككين اجعلهم هم يصطدمون به هم، قل لهم: أنا مقتنع أن هذا هو من عند الله، وأنا سائر عليه، هذا من عند الله، اذهب أنت ارجع إلى القرآن، هناك أمامك، هو يقول لك: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِن مِثْلِهِ﴾.

يوجد فارق بين هذا الأسلوب - حتى يظهر لك أنه أسلوب توجيهي - وبين أسلوبه مع فئة أخرى من الناس: فئة الساخرين، السفهاء اللعَّابين، الذين يتقوَّلون هكذا، يقولون: إنه افترى على الله، وإنه، وإنه! وهذا الكتاب مفترى على الله! قال لهم: ﴿فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ﴾(هود:١٣) ألم يقل عشر سور؟ يوجد فارق في الموضوع، عشر سور أكثر فضيحة له أن يقال: عشر سور، عندما يأتي يتخبط فجاء بسورة مضحكة، واحدة مضحكة، وواحدة مضحكة، أليست اثنتان أو ثلاث أكثر فضيحة له؟ إلى عشر أليست أكثر فضيحة؟ وأوضح في ماذا؟ في عجزه؛ لأنه قد يأتي بواحدة منها قد يقولون: (ربما هو ما زال مبتدئاً، ما زال... ربما لو أنه يفكر ويحاول لأتى بواحدة ثانية يمكن أن تكون أحسن!) قال له: هات عَشراً، هذا مقام سخرية منهم، لكن هذا مقام توجيه تربوي، توجيه تعليمي: ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ﴾(البقرة:٢٣) هناك: ﴿فَأْتُوا بِعَشْرِ﴾(هود:١٣) لمن يقول؟ للمفترين، أي: فئة من الناس. يجب أن نفهم أن القرآن الكريم لا يتحدث عن نوعية واحدة من البشر، الكافرون أنواع، المنافقون أنواع، المتقون أنواع، المؤمنون أنواع، وهكذا.

﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ﴾(البقرة:٢٥) لاحِظ المواضيع المهمة: فضح المنافقين، ضرب الأمثلة السيئة بالنسبة لهم، الكلام مع مَن هم قد يكونون مرتابين، ألم تأتِ بطريقة تولاها الله سبحانه وتعالى؟ لأنها قضية فيها تعليم حتى للرسول (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) فيجب أن نفهم بأن القرآن نفسه هو أيضاً وسيلة للنبي أن يهتدي به هو، ويعرف منهجية من خلال القرآن، ويعرف أساليب من خلال القرآن، ويعرف طرقاً من خلال القرآن؛ فيتطور أسلوبه ومعارفه، وتتنوع لديه الطرق، فيعرف من خلال تقييمه للموضوع هنا، يوجد تقييم للبشر، ألم يبدأ يقيِّم المتقين والكافرين والمنافقين؟ ثم هنا جاء بما يُعتبَر طرقاً ومناهج وأساليب في خطاب الآخرين، في محاولة جذب الآخرين إلى عبادة الله والدفع بهم إلى أن يطّلعوا على القرآن الكريم، ويتفهموا من خلاله.

﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ لم يظهر الموضوع - مثلاً - أمام المرتابين، أمام كذا، أن النبي نفسه قال: كذا، كذا... أو برز هو يقول: كذا، كذا... لأن الكل ملائكة الله وأنبياء الله يكونون هم بحاجة إلى الاهتداء بكتبه. عندما يصطفي من الملائكة رسلاً ويصطفي من الناس رسلاً، لا يوجد أحد يمكن أن يكون إلى درجة لا يحتاج إلى الاهتداء بالله، واهتداء بنفس المهمة التي يتحرك هو لأدائها، اهتداء بنفس الكتاب الذي هو يتحرك لتبليغه؛ لأن من عظمة كتب الله وبالذات القرآن الكريم: أنه لا يأتي عباراتٍ تقرأ على الناس، بنوداً مُعيَّنة: مادة واحد، مادة اثنين... إلخ، هو في نفسه يُربِّيك أنت ويربي الآخرين، يُوجِّهك أنت، يُقدِّم لك مناهج وأساليب وطُرُقاً و... أي: واسع بشكل رهيب في مجال الطريقة التي أنت تسلكها لتعلّم الناس ماذا؟ هدى الله وشرع الله.

تشريعه واسع جداً، هدايته واسعة جداً، وأيضاً مع هذا نفسه يعلمك كيف المنهج والطريقة والأساليب التي تسلكها في عملك مع الناس، في عملك مع نفسك. لم يُقدَّم ككتاب عبارة عن قانون جاهز: مادة واحد، مادة اثنين، مادة ثلاثة...إلخ. هذا يُسمَّى ماذا؟ أسلوباً جافاً ليس له قيمة، أسلوباً ناشفاً ليس له أثر في النفوس ولا احترام ولا تقدير! القوانين لولا أنه يأتي بعدها (سوط) لَمَا كانت أشياء محترمة عند الناس، القوانين التي يصيغها الناس لا تكون محترمة - تقريباً - عند الذين يقومون بصياغتها!

كثيراً ما يأتي في القرآن الكريم هذا الأسلوب: متى ما تحدث عن عقوبة للكافرين، أو المنافقين، أو العاصين يأتي بالبشارة للمؤمنين، والعكس: متى ما تحدث عن المؤمنين وما وعدوا به، والمتقين وما وعدوا به، يأتي بالحديث عن الجانب الآخر. فهذه مهمة جداً من الناحية التربوية ومن ناحية خطاب الناس، يقدِّم الموضوعين: يتحدث عمَّا وعد الله به المؤمنين، الفوز الذي يمكن أن يصلوا إليه، والفلاح الذي يصلون إليه، والجنة، وما وعدهم به في الدنيا وفي الآخرة بشكل عام، ويلاحظ الجانب الآخر العاصين كيف يكونون؛ لأن هذا نفسه يساعد على ترسيخ الحالة الأولى لديك من خلال المقارنة الذهنية بين القضيتين.

﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ﴾(البقرة:٢٥) لاحِظ هنا يقول: ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ تتكرر كثيراً في القرآن: ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ هذه مهمة جداً أن يترسخ في ذهنية الإنسان: أن الشيء الذي يهمه أن يبحث عن عمل صالح وليس قضية أنه: (هل قد وجب أو ما وجب؟!) هذا موضوع آخر؛ لأن الإنسان المؤمن يجب أن يكون عنده هذه الحالة: أن ينطلق على أساس أن هذا الشيء عمل صالح، لا أن يذهب ليسأل: هل قد وجب علينا أو لم يجب؟! الصحيح أن يسأل: هل هذا عمل صالح؟ لأن دائرة العمل الصالح واسعة جداً، دائرة واسعة جداً، وكثير

منها يكون في متناولك. أحياناً عندما تسأل أولاً: هل قد وجب؟ قد يقول لك: لا، تحرم بسبب أنه قال لك: لا، فقعدت عن أعمال كثيرة هي أعمال صالحة، تُعتبَر خاسراً.

الترغيب هنا يأتي على مستوى عالٍ: ﴿أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا﴾(البقرة:٢٥) أنواع متعددة إلى درجة أن بعضها متشابه من كثرة الأصناف خاصة الفواكه بعضها تكون متشابهة - تقريباً - في النوع أو في الشكل أو في كذا... ومختلفة في أشياء كثيرة، في ذوقها، وفي فوائدها ﴿وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾(البقرة:٢٥) هذا مما يعجب الإنسان كمخلوق، يعجبه الأشياء الماديات؛ ولهذا أن الله جعل الجنة أرقى الماديات التي يتصورها الإنسان، أرقى نعيم مادي: جنات تجري من تحتها الأنهار، ومساكن، وأزواج، وخلود فيها...إلخ، أليس هذا يُعتبَر نعيماً مادياً؟ إذاً هنا لو نلحظ بأن الله سبحانه وتعالى - فيما يتعلق بهذه الدنيا - لو لم يقدِّم أشياء مرغبة في هذه الدنيا، من الناحية التربوية سيكون تقصيراً؛ لأنه يقول عن الإنسان بأن الإنسان - بطبيعته - يحب العاجلة، أن الإنسان يحب الخير هنا هنا، الشيء الطبيعي هو أن يقول له: إنه حتى هنا في الدنيا عندما تستقيم، عندما تسير على الطريقة التي رسمها الله سبحانه وتعالى يحصل لك الخير، ويحصل لك البركة، وتحصل النعم، ويحصل، ويحصل، ويحصل... أشياء كثيرة من الماديات والمعنويات.

إذاً فمعنى هذا من الناحية المنهجية عندما نرَغب الناس في طاعة الله، في عبادة الله، في الاستقامة على طريقه، نرَغب في الموضوعين؛ لأن هذا ورد في القرآن، وهذا هو الشيء الطبيعي والشيء الصحيح فعلاً، كيف يمكن أن يقول عن الإنسان بأنه يحب الخير ويحب العاجل: يريد شيئاً أمامه، ثم يأتي هو ليقول لك أن تتحدث عن الجنة فقط باستمرار باستمرار! تحدث عن الجنة، وتحدث عمَّا يحصل في الدنيا وقدِّم للإنسان المسألة بأنها حياة واحدة بالنسبة له إنما هذه تُعتبَر لحظة من الحياة الأبدية؛ لأن الإنسان من أول ما يُخلق هو يُخلق للأبد يُخلق لحياة أبدية، إنما يمر بمرحلة هي حياة أولى، بعدها يموت ثم يستأنف الحياة الأبدية التي لا انتهاء لها.

إذاً فالمسألة بالنسبة لك هي حياة واحدة، عندما تتحدث عن الجنة فقط باستمرار باستمرار والإنسان هنا يحب الخير ويحب العاجل وهو مرتبط أيضاً في تكوينه في هذه الحياة مرتبط بماديات هذه الحياة فمن الطبيعي من الناحية التربوية أن يُعَجَّل هنا للناس شيئاً بسبب استقامتهم بسبب ثباتهم وسيرهم على هدي الله وطريقه، أن يعجل لهم، وهذا حصل في القرآن الكريم بشكل واسع.

أي: أن القضية يجب أن تربط الناس بأن سعادتهم في الدنيا في هذه الحياة متوقفة على أن يسيروا على هدي الله وإلاّ فستطلع النتيجة في الأخير نتيجة سلبية كبيرة، فسيعتبر هذا الدِّين ليس له قيمة هو مشغول؛ ولهذا ظهر في الناس أنه ليس هناك اهتمام بأن يعملوا لهذا الدِّين، لإعلاء كلمته، لسيادة أحكامه، لسيادة توجيهاته، لا يوجد هذا الاهتمام! فمتى ما أراد أن يتحرك للدِّين فإنه يعتبره موضوعاً ثانوياً والحياة هنا وهو مرتبط بالحياة وشؤونه وأعماله وحاجاته ومعه عمل ومعه كذا... وليس متفرغاً له!

هذا من نتائج أن الإنسان لم يُقال له ولم يترسَّخ في ذهنه هذا الأسلوب القرآني: أن حياتك هذه لا تستقيم، لا تستقر أبداً - لا مادياً ولا معنوياً - إلاّ عندما تسير على هدي الله، اِربط حياته بالدِّين؛ ليهتم به كما يهتم بالحياة نفسها، لماذا - مثلاً - عندما نأتي إلى الكثير من الناس نقول له: دين الله، ونقول: نتعاون من أجل عمل ديني يعتبره عملاً هامشياً ثانوياً هو مشغول بأشياء أخرى من شؤونه؟!

إذاً معنى هذا أنه عندما نجد هذه حالة موجودة عند الناس، وجود سلبية كبيرة تقعدهم عن العمل لدين الله يجب أن نركّز على هذا الأسلوب، عندما نركّز على هذا الأسلوب نحذر أن نربط المسألة في ذهنية الإنسان مادية بحتة، شدّه إلى الله ومن الله، هذا أسلوب قرآني: (نحن إذا استقمنا على طريقة الله فالله هو...) ولهذا جاء هذا الأسلوب في كلام نوح: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ﴾(نوح:١٠،١١) لا تقل للناس اعملوا كذا وستحصلون على كذا وتحصلون على كذا ويحصل لكم ويحصل لكم ويحصل... من هذه العبارات، هنا ستُرسخ عنده ذهنية المصلحة، إذاً فممكن أن يأتي طرف آخر يُقدِّم له: (ويحصل، ويحصل، ويحصل...) وينجرف إليه، لا، يجب أن تُركّز على هذه: بأن نستجيب لله، والله هو... ولهذا قال: ﴿يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا * وَيُمْدِدْكُم﴾(نوح:١١، ١٢) لم يقل: يحصل لكم ماء، ويحصل لكم أولاد، ويحصل لكم جنات، ويحصل لكم، ويحصل... قال: ﴿وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَكُمْ أَنْهَارًا﴾(نوح:١٢).

هذا أسلوب هام جداً مراعاته: أن تذكّر الناس بما يربط الدِّين بحياتهم، يربط حياتهم بالدِّين، وعلى هذا النحو؛

لتبقى الذهنية متجهة إلى الله، وأن كل ما يحصل لهم إنما يحصل من جهة الله، ومن عند الله؛ هنا ستربطهم بالله سبحانه وتعالى، فهم لن يكونوا عُرضة لأن يجرفهم طرف آخر يُقدِّم لهم خدماتٍ ومشاريعَ ومصالحَ من هذه الأشياء، فيكون الموضوع عندهم: (إذاً فما دامت المسألة أنه يحصل ويحصل فهذا سيعطي لنا فمع هذا!) لا، تربطهم بالله، وتقارن بين ما يُقدِّمه الله سبحانه وتعالى للناس وبين ما يحصل عليه من الآخرين من ناحية تقديمه، الآخرون لا يُقدِّمون لك شيئاً إلاّ وهم يريدون ثمنه منك شيئاً هو يضرُّك أنت، فيمكن أن يُقدِّموا لك مصالح لكن هي في سبيل استعبادك أنت وإذلالك أنت، وأن يأخذوا منك أنت أضعاف ما أعطوك، هل هذه موجودة عند الله سبحانه وتعالى أنه يعطيك ليأخذ منك أضعافاً؟ لا، بل العكس، الدِّين الذي نزله الله للناس هم بحاجة إليه لاستقامة حياتهم، ووعدهم بأن يعطيهم المزيد؛ ولهذا يَعِدُ بأضعاف مضاعفة لمن أنفقوا في سبيله لمن استقاموا على طريقته يعطيهم خيراً بأضعاف مضاعفة، والخير الكبير الذي لا ينتهي: الجنة، مع أن حاجتهم إلى هذا الدِّين في الدنيا هو يُعتبَر نعمة في حد ذاته، ومع هذا يعطيهم النعمة الكبيرة التي لا تنتهي أرقى نعيم وهي الجنة.

بعض المفسرين يقول: ﴿قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ﴾(البقرة:٢٥) معناها أنه في الدنيا كان يأتي لنا عنب بهذا الشكل، وتين، وأشياء من هذه. هذه قد توحي بأن الإنسان يفهم أنه في الآخرة لن يكون شيئاً آخر هو؛ لأن المسألة بالنسبة لأيِّ واحد منا كما لو استيقظ الصباح تماماً من على فراشه، هل أحد يستيقظ في اليوم الثاني وقد صار شخصاً آخر؟ إنه هو، أنت أنت، هم بمشاعرهم بأحاسيسهم بأذواقهم، هم تماماً، مثل استيقاظك في اليوم الثاني من على الفراش، لا تظن بأنك يوم القيامة ستكون شخصاً آخر.

﴿هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ﴾ أنا في الدنيا كان يعجبني البَلس[1] أنا في الدنيا كان يعجبني كذا أو ذلك مثل هذا بالنسبة لجنسه! لكن البعض يقولون: لا، القضية أنه تُقدَّم لهم فواكه متعددة وبعضها تبدو متشابهة يقول: أليس هذا مثل الذي قدِّم لنا الآن في الصحون والصحاف قبل قليل؟ ﴿وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا﴾ قد تكون هذه هي أقرب، لكن مهما يكن الأمر، هنا يشخص لك الإنسان بأنه ما زال بمشاعره كإنسان هو هو ليس أنه قد تحول شيئاً آخر، فيتصور أنه قد تحول إلى مخلوق آخر، أو شيئاً آخر، أنت أنت، وأنت في جهنم تصيح، أو في الجنة تتنعم مثلما يسحبونك الآن إلى واحدة منها تماماً، لا يوجد فارق.

﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلاً مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلاً﴾(البقرة:٢٦) لأنه في مجال الهداية للناس يحتاج الإنسان إلى أشياء كثيرة في مجال التبيين له وتقريب القضايا إلى فهمه، فالأمثلة أحياناً تكون تجسيداً للمعاني لتقربها إلى فهمك حتى لو كانت المسألة مثلاً فيها ضرب مثل ببعوضة أو بفراشة أو ذبابة أو أيِّ شيء من هذه، هذه لها قيمة من الناحية العلمية من ناحية التبيين بالنسبة لك.

الله سبحانه وتعالى وهو من يريد لعباده الهداية، ويبين لهم على أرقى وسيلة، لا يستحي أن يضرب مثلاً في سبيل أن يهتدوا، أن يُبيِّن لهم الأشياء ويُقرِّب إلى أذهانهم ما يفهمون به مبادئ مُعيَّنة، أو قيماً مُعيَّنة، المهم في مجال الاهتداء لا يستحي أن يضرب مثلاً بعوضة أو أيِّ شيء من الأشياء الأخرى، المؤمنون يعرفون: أن هذا حق من الله، ولهذا قيمته، له قيمته، الآخرون يكونون مشغولين بأنه (ماذا يعني أن يضرب مثلاً بفراشة أو يضرب ببعوضة أو ذبابة أو...؟! ما هي الفائدة في أن يضرب لك مثلاً به؟! ما هي قيمتها؟) هذا يُسمَّى ضلالاً، هو سماهم ضالين ﴿مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلاً﴾ ينشغل بأنه ماذا يعني؟! ما قيمة أن يتحدث عن ذبابة؟! أو الله أعلى من أن يذكر ذبابة! أو الله أعلى وأعظم من أن يذكر بعوضة، فيكون منشغلاً بهذه الفكرة وناسياً الاستفادة من المثل وبما يهدي إليه المثل.

يستفيد الإنسان من هذا: بأن يكون عنده حرص علي أن يستفيد ويعرف حتى في تأملاته، يتأمل في النملة، في الذبابة، في أيِّ شيء، لا تتصور أنك لست محتاجاً إلى أن تستفيد من النملة، أو تستفيد من الذبابة أو من البعوضة، أحياناً لو لم يكن إلاّ من أجل أن تعرف ذكاءها مثلاً، ذكاءها وطريقتها، عندما يكون البعوض هذا البعوض نفسه يظهر ذكياً، يعرف أين هو، ويعرف أين أنت وهو يَتصيَّد لك، هو يأتي ليتصيد لك وأنت أكبر منه، حقيقة، أليس كذلك؟ لاحِظ إذا كنتَ مثلاً في السطح في مكان خارج هو عارف أنك عندما تحرِّك يدك لضربه أنك لا تستطيع اللحاق به يحاول من قريب يُريد أن يلدغك وبإلحاح! إذا كنتَ في غرفة فإنه يكون حذراً جداً؛ لأنه عارف فيحاول أن يترقب غفلاتك! إذا كنت تقرأ في كتاب وتمسكه بيديك يلدغك في ظهر الكف، وإن كان الكتاب على طاولة أو على فخذيك أو على أيِّ شيء يترقب غفلاتك! في حالة الهواء الطلق إذا أنت خارج يحاول أن يهاجمك وهو منتبه لك؛ لأنه عارف هناك أنك لن تقوم لتبحث عنه، لكن وهو في الغرفة يرى جدراناً مغلقة والنوافذ مغلقة تراه حذراً جداً تراه أحياناً يطير على مستوى القاع ويكتم صوته!

---

(١) البَلَس: التِّين.

إذاً هنا أنت ستراه مخلوقاً يتصيد لك، أليست هذه واحدة؟ الذي يقول: البعوضة! ماذا يعني بعوضة؟! هذه البعوضة هي تراك أصغر منها، إذاً هذه البعوضة تبحث عنك تريد أن تمص دمك، تتصيد لك كما تتصيد أنت لأرنبة أو لحمامة أو لأي شيء، أليس عندها طمع كبير، وعندها نظرة كبيرة؟ رجل كبير تتصيد له تريد أن تمص دمه وهم يقولون: ﴿مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلاً﴾ أي: ما هي قيمة بعوضة؟! تراها فيها ذكاء وتعرف من خلال هذا بأنه مخلوق على هذا النحو كيف هدي إلى أن يعرف محيطه ويعرف ما حوله ويعرف متى يهاجمك، إنه يدري إذا كنتَ تريد إبعاد الكتاب وتريد أن تراقبه يعرف أنك تراقبه فعلاً، تتجه اتجاهاً آخر، ينتبه أنك مراقب له، هذه القضية مجربة.

الإنسان يحتاج إلى أن يستفيد من كل شيء، لاحظ نبي الله سليمان وهو نبي بعدما سمع كلام النملة ظهر في مظهر من الخضوع بشكل عجيب، ألم يقل: ﴿وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾(النمل:١٩)؟ هذه النملة استفاد من كلامها تذكيراً بنعمة عظيمة عليه، كيف أن النملة نفسها عندما قالت: ﴿لاَ يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ﴾(النمل:١٨) أي: أنها عارفة أن سليمان عادل وليس بإمكانه أن يدوس على نملة متعمداً ولا أحد من جنوده، إذاً هو في نعمة كبيرة جداً أنه حتى الحيوانات الصغيرة تعرف عدالته. جاء بهذه العبارة الهامة في الخضوع لله، أليست هذه نملة أفادته بشكل عجيب؟! إذاً فلا يظن الواحد منا أنه أذكى أو أعلى من أن يستفيد من نملة أو بعوضة أو أيِّ شيء، معنى هذا كبرياء وغرور.

﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلاً مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾(البقرة:٢٦) فكيف تستحي أنت وأنت الإنسان القاصر من أن تستفيد من أيِّ شيء من مخلوقاته الصغيرة هذه، وأن تتأمل فيها، تستفيد معرفة؟! وأن المؤمن هكذا يكون حريصاً جداً على ما يزيده هدى وإيماناً ومعرفة و... بينما الكافر هناك غرور، تعجرف، يناقش أنه: لماذا تُضرب بعوضة أو ذبابة أو عنكبوت؟! كل هذه ذكرت في القرآن: عنكبوت وذبابة وبعوضة.

﴿يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلاَّ الْفَاسِقِينَ﴾(البقرة:٢٦) يضل بهذه الطريقة أو يهدي بهذه الطريقة من خلال ضرب أمثلة في كتاب الله الكريم في جزء من كتابه ﴿يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلاَّ الْفَاسِقِينَ﴾ الخارجين عن طريقته يكونون عرضة للتضليل، عرضة لأن يُضلوا فعلاً، يضيعوا ويبعدوا وفي نفس الوقت ستظهر سلوكياتهم فيما بعد على هذا النحو، وهم في نفس الوقت عادة يكونون على هذا النحو عندما يذكر من صفاتهم بعد: ﴿الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾(البقرة:٢٧).

في الأخير تلاحظ هنا بأن هؤلاء الناس الذين يرون أنفسهم بأنهم تقريباً يترفعون من أن يُضرب لهم مثلاً بعوضة أو عنكبوت أو ذبابة فليس معنى هذا بأنهم أناسٌ قمة في ماذا؟ في القيم وفي النزاهة وفي الطهارة، وفي أنفسهم، هم واقعهم هكذا: هم سيئون ﴿يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ﴾(البقرة:٢٧) أحياناً أنت تُعتبَر أحمق عندما تبدو على هذا النحو وأنت منحط في واقعك، أي: عندما ترى طرفاً مترفعاً قد يبدو لديك بأن هذا الإنسان يبدو على مستوى عالٍ من الطهر والنزاهة والثقافة والمعرفة وأشياء من هذه فهو يترفع، لا، في الواقع قد يكون منحطاً. هؤلاء يقولون: ﴿مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلاً﴾؟ وهم في واقعهم على هذا النحو: ﴿يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ﴾ إذاً هم منحطون فهم في نفس الوقت مِن أحوج الناس إلى أن يهتدوا بأي شيء يُقدَّم لهم، بأي مثل يُضرَب لهم ليهتدوا به، فلماذا الترفع إذاً؟! هل لأنهم هم ذوو قيمة في نفوسهم؟ هم هكذا: يفسدون في الأرض، وينقضون عهد الله من بعد ميثاقه، ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل، أليس هؤلاء منحطين، أم أنهم مثلاً على معرفة عالية وثقافة عالية واستنارة واستبصار لا يحتاجون إلى هُدى؟! هم بحاجة إلى هُدى ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾.

ثم تحدث الله عن الملائكة عمَّا قالوا وكيف انتهت المسألة مع آدم وإبليس، هل الموضوع بالنسبة لله سبحانه وتعالى أنه يحتاج إلى استشارة أحد؟ لا، يستشيرهم، ما رأيكم نريد أن نجعل في الأرض خليفة؟! لا، لكن القضية يأتي من خلالها دروس بالنسبة للملائكة أنفسهم أو بالنسبة للإنس والجن، أي: هذه القضية فيها دروس للملائكة والجن والإنس، فيها دروس، وفيها عبر، تعطي هُدى للملائكة وللإنس وللجن.

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾(البقرة:٣٠) هذه تعني بأنه قد قدِّم إليهم - مثلاً - شرح عن حالة هذا الكائن الذي سيُخلق في هذه الأرض ويُستخلف في الأرض، فوجدوا مثلاً من خلال استعراض حياة هذا الإنسان على الأرض أنه يحصل هكذا: يحصل فساد في

الأرض ويحصل سفك للدماء، اندهشوا هنا، اندهشوا، حصل عندهم تساؤل: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ﴾(البقرة:٣٠) إذا كانت المسألة هي من هذا المخلوق الذي تريد أن تستخلفه في الأرض هو أن يقوم بتسبيح وتقديس وعبادة - هم في ذهنيتهم العبادة على النمط الذي يؤدونه - نحن نقوم بهذه المهمة، وفينا كفاية، معنى كلامهم: وفينا كفاية ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾.

ربما أيضاً فيها شيء آخر، أي: إذا كنا نفهم بأن أيَّ مخلوق من مخلوقات الله يحتاج إلى هداية الله بما فيهم الملائكة والله أعلم في أيِّ عصر حصلت هذه القصة، أي: قبل كم آلاف من السنين، كيف كان الملائكة، وكيف قد أصبحوا بعد في ترقيهم في ماذا؟ في اهتدائهم من خلال هذه القصة وغيرها. هذه القصة قديمة جداً، وفي نفس الوقت يقول الإمام القاسم بن إبراهيم: بأن هذا القرآن يهتدي به الملائكة في السماء. وكم بين القرآن في نزوله ووقوع هذه القصة: خلق آدم هناك وهذه الحكاية كلها (قد يحصل من الملائكة كلام لا يتنافى نوعاً ما مع الجلال والقدسية والعظمة) هذا قد يحصل في تعبير الناس: (نحن نمدحك ونقول: إنك وإنك وإنك وإنك) عندما يحصل من شخص مثلاً شيء يتنافى مع نظرتنا إليه ومع ماذا؟ ثنائنا عليه وتمجيدنا له ومدحنا له.

﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾ يمكن أن نحملها على أساس أنه إذا نريد مثلاً أن نراعي جانب هذا الخلق من خلق الله (الملائكة) نراعي جانبهم؛ لأن العبارة ربما لا توحي بهذا الشكل عند الكل: ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ معناها: نحن نقوم بالمهمة، إذا كانت القضية هي أن هذا الكائن الجديد الذي ستستخلفه في الأرض هو ليقوم بعبادتك، هذه العبادة نحن نعبدك على أرقى مستوى: نسبح بحمدك ونقدس لك. ﴿قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾.

إذاً القصة هنا، عندما نأتي إلى مجمل القصة - ومجمل القصة تؤخذ من أكثر من موقع من القرآن الكريم من (سورة البقرة) ومن غيرها من السور من (سورة الأعراف) وفي غيرها - تلاحِظ: الإنسان بحاجة، الملائكة بحاجة، الجن بحاجة إلى أن يؤمنوا بأن الله أعلم منهم، وأن يؤمنوا بأن الله أحكم منهم، إيماناً يكونون دائماً مستشعرين له دائماً دائماً، بالطبع أن الملائكة يؤمنون بأن الله هو العليم، هو الحكيم، أليسوا مؤمنين بهذا؟ لكن أحياناً يحصل من جهة المخلوقين لأنهم ناقصون وقاصرون فعلاً، أحياناً أو في مراحل، بل الإنسان في مراحل اهتدائه - هي مراحل يترقى فيها - أحياناً قد يحصل من جانبه ما يُعتبر غير منسجم مع ما هو مؤمن به، إذا كانوا مؤمنين فعلاً - هم مؤمنون فعلاً بأن الله عليم وحكيم - فكان يجب أن إيمانهم هذا نفسه يشغلونه في نفس الوقت، أنه يجب علينا: أن نسلِّم له؛ لأن الإيمان بأن الله هو أعلم وهو أحكم يقتضي التسليم أمام ما يبدو وكأنه غريب أو يثير التعجب والاستغراب، هو أعلم منا وهو أحكم، فنحن سلّمنا، فليستخلف ومقبول ولا اعتراض ولا تساؤل ونحن مسلِّمون. هنا هم نسُوا في داخل نفوسهم ما يقتضيه إيمانهم بأنه أعلم وأحكم من تسليم لا يحصل معه تساؤل على هذا النحو.

هذه فيها جانب بالنسبة للمستخلَف: نوع من الازدراء، نوع من الاحتقار بالنسبة للمستخلَف نفسه هذا لم يكن ينبغي أن يحصل؛ لأنهم يعلمون بأن الله قد قال بأنه سيستخلفه، هو الذي قدَّم لهم نُبذة عن حياة هذا الكائن على هذه الأرض، إذاً فلأنه استخلفه هم مسلِّمون، أي: لا يحصل لديهم أيُّ شعور بازدراء أو احتقار، هو جدير إذاً بالاستخلاف، معناها هكذا: هو استخلفه إذاً هو جدير بالاستخلاف.

ما الذي حصل بعد بالنسبة لهم؟ أمرهم أن يسجدوا لآدم نفسه! جاء الأمر بصريح العبارة: ﴿اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ يسجدون لآدم، حصل من جانبهم نوع من الازدراء فيما يتعلق بهذا المخلوق الذي قال بأنه سيستخلفه، معنى هذه العبارة - كما نفهمها - توحي بنوع من الازدراء: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ ماذا تعني هذه العبارة بالنسبة للمستخلَف؟ أليست تعني: هو غير جدير بأن يُستخلَف، أي: ماذا؟ ازدراء واحتقار لهذا المستخلَف! هذا هو ناتج عن ماذا؟ عن نسيان لِمَا يقتضيه الإيمان في الأعماق من تسليم لا يكون معه تساؤل ولا هناك ازدراء، يقول: سلّمنا هو الجدير بأن يستخلف، آمنا ولا أيُّ تساؤل.

لاحِظ كيف العبارة هنا؛ لأن الله سبحانه وتعالى هو الذي يهدي: ﴿قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾ هل هو هاجمهم من أول يوم؟ هو يعلم - ﴿أَلاَ يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾(الملك:١٤) - هو يعلم بأن هؤلاء هم بحاجة إلى الاهتداء دائماً، حصل عندهم حالة نسيان، حصل لديهم اندهاش من موضوع مُعيَّن أنساهم التسليم بما هم مؤمنون به، مع أنها قد تكون طبيعية عند المخلوقين، هذا شيء طبيعي عند المخلوقين وهم يترقون في ماذا؟ في الهداية ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾ معناه تبدو العبارة ليست سهلة في الواقع: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ

﴿نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ ليست عبارة سهلة، لكن الله سبحانه وتعالى هو رحيم لم يهاجمهم؛ لأنه شِبه طبيعي أن يحصل من مخلوق آخر على هذا النحو فيندهش، لكن سيُقدِّم المسألة لهم بأن يهتدوا من خلالها، وربما قد يكون الملائكة فيما بعد أصبحوا أكثر اهتداء وأكثر انتباهاً من بعد، أخذوا منها درساً هاماً.

لاحِظ أحياناً الأشياء تقاس على أساس نظرتك التي أحياناً تُوجد هذه الحالة كثيراً من العوائق وكثيراً من الإشكالات، حتى إن الناس يكونون مثلاً في توجه واحد وهدف واحد، أحياناً تبدو قضية: هذا استنكرها وذاك استغربها وذاك حاول أن يشرد منها، كلهم ينطلقون على أساس ماذا؟ وفق تقييمهم هم، نظرتهم هم عندما يتصورون أن المسألة هي ليقوم هذا المخلوق بعبادته؛ لأنهم يعرفون بأن كل ما سوى الله هم عبيد لله، وكل ما سوى الله، كل مخلوقاته لها أدوار في عبادته، أي: كلها تعبده، العبادة عندهم ما هي؟ تسبيح تقديس، ذكر لله، صلوات، أشياء من هذه، أليست هذه قد تكون العبادة لديهم؟ إذاً نحن نقوم بهذه العبادة، قد لا يكون هناك مناسبة أنه من أجل أن يقوم هذا المخلوق بالعبادة، ومع هذا أيضاً يحصل فساد ويحصل سفك للدماء ويحصل ويحصل... نحن ملايين نقوم بتسبيحك وتقديسك، أليسوا هنا ينظرون إلى العبادة وإلى الأدوار من خلال تقييمهم هم وفهمهم للعبادة؟

﴿قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾(البقرة:٣٠) للأدوار المتعددة والمهام المتعددة في موضوع العبودية لله؛ لأن العبودية لله سبحانه وتعالى كلها تنتهي على اختلاف أدوارها إلى الشهادة بكمال الله سبحانه وتعالى، كل عبودية الله لا تخرج عن هذا الموضوع: ارتباط بالشهادة بكمال الله ووحدانيته وقدسيته وعظمته...إلخ، كلها قد يكون دور الإنسان من الناحية العملية يكون في أدواره في هذه الحياة وهو يستخلَف، يتجلى من خلال دوره هنا وسلوكياته هنا، وأعماله هنا: الشهادة بعظمة الله، الشهادة بكمال الله، الشهادة بوحدانيته؛ ولهذا فالناس فعلاً يؤدون هذا الدور رغماً عنهم، مجمل البشر (الإنسان بالشكل العام) كلهم، تنتهي المسألة: أنهم فعلاً - المطيع منهم والعاصي الذي يعمل في هذا المجال وفي هذا المجال - كل خلاصة الموضوع بالنسبة لهم: أنهم شاهدون على كمال الله ووحدانيته وعظمته.

لأنه طلَع في الأخير أنهم قالوا: إذاً فعلاً الإنسان استخلِف في الأرض، أي: ما قد يذكر بعض المفسرين: (هو استخلِف في الأرض إذاً فيبدو أن القيمة من وراء هذا الموضوع على الرغم من السلبيات الكثيرة جداً هي: أن هناك نماذج ستبدو طاهرة، ونماذج تبدو ملتزمة ومستقيمة، وأن هذه هي كلها الهدف والغاية من وراء الاستخلاف، وهذه إيجابيات تغطي باقي السلبيات كلها!) لكن هذا الكلام أيضاً لا يزال ناقصاً حقيقة! لا، عندما تنظر للقضية بشكل آخر: الإنسان من حيث هو تجد أنه يُقدِّم شهادة لله سبحانه وتعالى بكماله المطلق، الكل، أي: عندما تجد أنه يهدي هو يهديهم إلى طريقة مُعيَّنة.

الآخرون الذين خرجوا عن هدايته كيف حولوا الحياة وكيف تحولت حياتهم؟! هنا يتجلى لك جانب من ماذا؟ من السوء؛ نتيجة أنهم لم يلتزموا بما هدى الله إليه، أي: شهدوا على ماذا؟ على إيجابية ما قدَّمه الله وعلى أن الإنسان لا يمكن أن يخرج عن السوء إلاّ إذا كان يسير على هدي الله، هم قدَّموا شهادة بكمال الله؛ لأنه عندما يوجد - على مستوى الناس ولله المثل الأعلى - طبيب مُعيَّن مثلاً يقول لك: (هذا هو عبارة عن وصفة مُعيَّنة تسير عليها على مدار سنتين أو ثلاث، أنت إذا عَدَلت عن هذه الوصفة سيحصل لك كذا كذا) فلم تلتزم، تذهب مثلاً تأكل سمناً وعسلاً ولحماً وأشياء من هذه وأنت فيك (سُكّر) يُقدِّم لك وصفة مُعيَّنة، حصل لك أشياء كثيرة هنا أنت تشهد على ماذا؟ على صحة رؤية هذا الطبيب نفسه وتشهد في نفس الوقت بخبرته من خلال ما وقعت فيه أنت.

إذاً ما كانت لتكون إيجابية فعلاً لو أن الموضوع أنه يوجد سلبيات كثيرة هي: أكثر الناس لا يعقلون، لا يفهمون، ضالون، مفسدون...إلخ، وتكون فقط الإيجابية التي تمثل غاية من وراء استخلاف الإنسان هنا في الدنيا هي: ذلك التيار المحدود داخل هؤلاء البشر الذي يُعتبَر رقماً محدوداً جداً بالنسبة للأعداد الأخرى الفاسدة. إذاً هذه لا تُعتبَر في حد ذاتها، أي: فيما يتعلق بحكمة الله سبحانه وتعالى وعلمه لا يمكن أن يُقدِّمها الإنسان بأنها كافية كمبرر لماذا؟ لوجه الحكمة من الاستخلاف.

يُقدِّم لك الحكمة مثلاً (الإمامية) في مسألة الاستخلاف بأن هناك مثلاً محمداً (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) وعلياً والحسن والحسين وفاطمة هؤلاء الخمسة، طبيعي أن يكون هناك سلبيات أخرى من قِبل البشر كلهم القيمة هي هنا فيكفي هذا النموذج مع وجود بقية السلبيات! هذه لا تكفي، حقيقة، الإنسان له دور: اليابانيون يقومون

بدور، الأمريكيون الآن يقومون بدور، الإنسان هو عبدٌ لله رغماً عنه وشاهد بكمال الله ووحدانيته رغماً عنه عندما تراه يضِل هناك بسبب أنه عَدَل عن هدي الله، فهذا شاهد على أن الله يعلم السر في السموات والأرض وأنه أعلم بخلقه وأعلم بما يهديهم، وأنهم هكذا وقعوا في هذه الحالة السيئة بسبب أنهم لم يسيروا على هديه، أليس هذا يعني شهادة بكماله، شهادة بقيمة هديه، الذي يعني في الأخير شهادة بكماله؟

ما نأخذه من الآيات القرآنية الكريمة لا يعني كل شيء، الإمام علي يقول: (القرآنُ بحرٌ لا يُدرَك قعرُه) ربما يأتي الواحد ينظر باعتبار آخر، أن هذا يعني: بأن الله سبحانه وتعالى هو مالك الأمر والنهي، هو مالك الملائكة والإنس والجن والسماء والأرض وشؤونها، فهو مَنْ له الأمر والنهي فيها. إذاً فالإنسان عندما استُخلف استُخلف وقيل له من أول يوم: ﴿قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِنِّي هُدىً فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلاَ يَضِلُّ وَلاَ يَشْقَى﴾(طه:١٢٣) أي: هنا أسكنهم في هذه الأرض، وقال لهم: سيروا على ما يأتيكم مني من هدى، أليس كذلك؟ لذلك بدأت إشكالية في مسألة مثلاً سؤال الملائكة: سؤالهم، ثم ما يُقدَّم من تفصيل للقضية؛ لأنه لوحظ في الأخير فعلاً بالنسبة للإنسان كإنسان هذا جانب سلبي كبير جداً؛ لأن الكثير من الناس ضالون، فاسقون...إلخ. بل أفسدوا الحياة وأفسدوا البر والبحر وأفسدوا كل شيء، لكن لو أننا ننظر إلى المسألة باعتبار علاقتها بالله سبحانه وتعالى فهل القضية فعلاً كما يقول البعض؟ بأنه: (طبيعي هذه السلبيات كلها ما دام سيظهر نماذج مُعيَّنة من البشر يمثلون قيمة الهدى الإلهي، فيظهر نماذج طاهرة ونماذج متكاملة من الأنبياء والأولياء والصالحين، وعند بعضهم محمد (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) وعند الاثنا عشرية يقولون: (الاثنا عشر: الرسول (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) وفاطمة وعلي وباقي الاثني عشر) أي: (يكفي - إذا كان سيأتي في الأرض وعلى طول الحياة هذا الإنسان الذي أعداده مليارات من البشر آلاف الملايين - هذه النماذج!) لكن وهذا الجانب كيف يمكن أن نقول: إنه لم يمكن أن تبرز قيمة هُدى الله إلاّ من خلال هذه النماذج فقط؟! أيضاً ذلك جانب آخر يشهد.

هذه القضية هامة نحن قلنا هذا بالأمس أعتقد أنه يجب أن نلحظ الجانب الآخر أنه هو تشغيل للقرآن بأسلوب آخر يعني ماذا؟ يوضح لنا عظمة القرآن عندما نرى توجيهات هنا ونرى كيف واقع الذين لا يسيرون عليها أنهم يشهدون بماذا؟ بقيمتها وأهميتها وواقعيتها، أليس أيُّ واحد سيقول له في الأخير: (ألم نقل لك: لأنك لم تلتزم للدكتور عندما قال لك كذا، كذا، انظرْ ماذا حصل؟!) أي: هو يَعتبِر الأمراض التي حصلت له ومضاعفات المرض أنه بسبب مخالفته لوصفة الطبيب أنه ماذا؟ شاهدٌ على إيجابية الوصفة نفسها.

فمجمل دور الإنسان هنا بكل ما هو عليه، إن كان على هدى فهو يُجسِّد الهدى ويظهر قيمة الهدى، وإن كان مخالفاً للهدى هو أيضاً يُظهِر الأثر السيئ لمن يخالف الهدى، فهو في نفس الوقت يُبيِّن عظمة هذا الهدى.

لهذا ليس هناك فشل في المسألة بالنسبة لله سبحانه وتعالى، لا نقول: بأنه فشل، أو نحاول "نلجِّم"[1] المسألة بحيث لا يظهر فيها وجه الحكمة بالشكل الذي يطمئن إليه الإنسان فعلاً، ويتناسب مع تقديسه لله وإجلاله لله، لا، الإنسان هذا نفسه، ذلك الشخص الذي يبدع، هو عندما يبدع في صناعة مُعيَّنة صناعات دقيقة جداً هو نفسه يشهد على عظمة وكمال من أبدعه هو، من أبدع ذلك المخلوق هو، فالشهادة لله سبحانه وتعالى، الشهادة الجملية من واقع البشر كلهم بكمال الله هي حاصلة، والناس هم الفاشلون هم، من خلال أعمالهم في هذه الحياة ولهذا قال: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾(الرعد:١٥) وبعض الآيات التي تقول بأن الكل هم خاضعون له، هم خاضعون.

عندما تقول: إذاً ما قيمة الاستخلاف إلاّ من أجل أن يظهر عدد محدود في تاريخ البشر فيكونوا إيجابيين وطاهرين! ما أمكن أن تتم هذه المسألة إلاّ بوضعية يأتي من خلالها الملايين من الضالين والفاسدين؟ هذه لا تُعتبَر مبرراً كافياً - بالنسبة لنا نحن - يتناسب مع إيماننا؛ لأن إيمانك بقدسية الله سبحانه وتعالى وإجلاله مفروض أن يكون بالشكل القاطع لديك، بالنسبة لله لا يوجد موضوع ستحتاج إلى أن تحاول أن تستِّر، هذه هي محاولة تستير، مثل الذين يعتبرون أبا بكر فيه نواقص وهم قد قدَّموه بعنوان كبير يحتاجون إلى أن يغطوا عليه ويتأولوا له وأشياء من هذه. نقول: لا، الله استخلف هذا الإنسان، والإنسان له دور فيما يتعلق بالشهادة بكمال الله، هو نفسه جانب عملي إذا كان دور الملائكة هو دور سلوكي فيما يتعلق بذكر وصلوات وأشياء من هذه، أليست كلها تسبيحاً وتقديساً لله؟ التسبيح والتقديس لمن هو كامل في ذاته، إذاً ففي صعيد الواقع

(١) نُلَجِّم: من اللهجة العامية، وتعني: نُلَفِّق.

(الممارسة العملية): شهادة واقعية من واقع الحياة، سيجعل خلفاء وسترى كيف أن كل شيء يشهد له، كل شيء يشهد بكماله فيما هو عليه.

إذاً فالقضية معناها ماذا؟ دور عبادي، أي: الغاية هي غاية عبادية في الأخير، شهادة بكمال الله سبحانه وتعالى، انتهت القضية إلى شهادة بكمال الله كما الملائكة يشهدون بكماله من خلال تسبيح وتقديس، هو كله دور عبادي في غايته، فيما يؤدي إليه في الأخير، ستجد بأنك فعلاً تسبِّح الله وتقدسه؛ ولهذا يأتي التسبيح لله حتى أحياناً في مواطن تبدو سلبية (ذو النون) ألم يسبح الله في بطن الحوت؟ هو نبي وسجنه في ذلك المكان أيضاً انطلق يُسبِّح الله، جاء التسبيح في مواقع كثيرة في القرآن الكريم. التسبيح لله التقديس الدائم المستمر لله سبحانه وتعالى يجب أن يكون مسيطراً على مشاعر الإنسان، هذه القضية هامة في كل الحالات وقضية واقعية، أي: لن آتي مثلاً في الواقع أقدسك أنت وهو حصل من عندك سوء، التسبيح والتقديس هو ماذا؟ حالة ثناء في الواقع، والثناء إنما يكون ماذا؟ لمن هو مستحق الثناء فعلاً، أي: لا يوجد في موضوع تسبيح الله وتقديسه أنك تسبِّحه وتقدّسه على سيئة هي سيئة فعلاً من عنده، سوء من عنده! لا يحصل هذا، لا يحصل على الإطلاق.

عندما سبَّح (ذو النون) أي: - مثلاً - أنا المسؤول عن هذا، أنت سبحانك أنت قدوس لا يمكن أن يأتي من عندك سوء ولا خطأ؛ لأنه هرب ولم يكن قد أذِن له؛ سُجن على هذا النحو، انطلق يسبح الله، لم ينطلق ليُسبِّح نفسه في الأخير يقول: (لماذا أنا نبي وتسجنني وتحصل هذه بعدما تعبت!) أليس هذا تسبيحاً للذات؟ انطلق يُسبِّح الله.

قضية الأمر بالسجود لآدم تجد فيها دروساً هامة جداً قصة الملائكة بمجملها والأمر بالسجود لآدم وما حصل لآدم مع إبليس هذا من أهم القصص.

﴿قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ * وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾(البقرة:٣٠، ٣١) من خلال هذا اتضح لهم في الأخير: أن هناك مهمة مُعيَّنة ودوراً آخر لهذا المخلوق لهذا الكائن، له دور آخر. ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلاَئِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاَءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾(البقرة:٣١) ﴿صَادِقِينَ﴾ يقول بعض المفسرين: معناها أن الملائكة أوَّلوا لنفوسهم بأن الله لو خلق أحداً فلن يخلق خلقاً أفضل منا، ولن يخلق إلاّ خلقاً يعصيه، ويخلق خلقاً لا أدري كيف![1] قالوا إن معناها: ﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ بأن القضية على ما قلتم، وأنه من خلال هذه الأسماء ظهرت نماذج مُعيَّنة من البشر يُعتبرون راقين جداً! لهذا البعض يعتبرون أن الإنسان المؤمن هو أفضل من الملائكة، البعض من الفئات أعتقد أن (الاثنا عشرية) منهم في أن الإنسان المؤمن أفضل من الملائكة.

نحن هنا لا نعرف ﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ في ماذا؟ ما هي المشاعر الداخلية لديهم؟ لأن القصة أحياناً تكون مختصرة. إذاً ما انطلق منهم هو يوحي برؤية لديهم يعتبرونها صادقه واقعية، أليس كذلك؟ إذا كنتم على ما ترون أنتم وأن القضية على ما ترون أنتم فـ﴿أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاَءِ﴾ ينكشف لهم في الأخير هذا: إنه فعلاً اتضح أننا ناقصون في رؤيتنا في معلوماتنا؛ ولهذا قالوا بعد: ﴿سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾(البقرة:٣٢) إذاً لاحظ كيف انتهت المسألة: أن في موضوع هداية الله سبحانه وتعالى أشياء عجيبة، كان الخلل عندما قالوا: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ فيما يتعلق بأنه عليم حكيم وفيما كان يقتضي إيمانهم بأنه عليم حكيم من تسليم مطلق، تأتي المسألة بالنسبة لهم إلى أن شهدوا بأنه: ﴿سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ ألم ينتهوا إلى هذه؟ ترسَّخ لديهم مقتضى الإيمان بأنه: عليم حكيم، إذاً اعتبر بلطف الله ورحمته لهم أن القضية انتهت بالنسبة لهم مع الله، وصلوا إلى التسليم بأنه: عليم حكيم، وانتبهوا إلى ما كان يجب أن يكونوا عليه.

بقي الموضوع فيما يتعلق بآدم؛ لأن القضية كانت تتناول شيئين، تتناول: موضوع حكمة الله وعلمه، وتتناول موضوع المستخلَف آدم وبنيه.

القضية الإيمانية قدِّمت على أساس: أن الإيمان يكون إيماناً تستشعر ما يقتضيه من تسليم: أنا مؤمن بأن الله عليم حكيم، وقيمة إيمان من هذا النوع أنه في الحالات التي تبدو فيها مندهشاً، شيء يدهشك تسلِّم هي وقت التسليم، وقت أن ترجع إلى مقتضى إيمانك بهذا الشيء، فإن نسي الإنسان ما هو مقتضى إيمانه - وهذه حاصلة لدينا - ولهذا نقول: نستفيد منها نحن البشر؛ لأن القضية هنا ظهرت هي حالة نسيان لمقتضى إيمانهم بأنه عليم حكيم، نقلت القضية من أولها أنه هو الذي قال لهم إنه سيستخلفه، وفي مجمل القصة في مختلف مواقع القرآن الكريم قدَّم لهم القضية كاملة مِن عنده هو ﴿إِنِّي جَاعِلٌ﴾ ألم يقل هو ﴿جَاعِلٌ﴾؟ هم مؤمنون بأنه: عليم حكيم، لكن حصل خلل بسبب نسيان مقتضى الإيمان الذي هو حاصل عندنا، هذا المشكلة الكبيرة، أي: مجمل أسماء الله الحسنى: هو عليم، حكيم، عالم الغيب والشهادة، وملك، إله، قدير... إلى آخر ما تعني أسماؤه الحسنى، تجدنا مسلِّمين بها إيماناً نحن مؤمنون

(١) لا أدري: استخدمت هنا للتهكّم.

بها، لكن ليس حاصلاً لدينا مقتضى هذا الإيمان: انطلاقة على أساس ما يقتضيه هذا الإيمان؛ فعندما يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾(الحج:٤٠) أليس كل واحد مؤمناً بأن الله قوي عزيز؟ لكن لا ينطلق على أساس ما يقتضيه إيمانه بأنه قوي عزيز ناسياً ما يقتضيه إيمانه! أنت مؤمن بأنه قوي عزيز، هذا الإيمان يقتضي منك أن تنطلق لنصره؛ لأنه قد وعد أنه سينصر، وأنت مؤمن بأنه قوي عزيز، إذاً مقتضى إيماني عملياً هو أن أنطلق، هل هذه الانطلاقة حاصلة؟ ليست حاصلة عند معظم المؤمنين بأنه قوي عزيز.

إذاً هذه توحي بأنه قد يحصل عند الإنسان خلل كبير جداً من خلال نسيانه لمقتضى إيمانه، فيما يقتضيه إيمانه من تسليم، من عمل، من ثقة، هذه عبرة لنا، أي: فيها درس للناس، وهذه واحدة من المشاكل بالنسبة لنا بالنسبة لمن هم مؤمنون بالله وبكتابه ومؤمنون بأسمائه الحسنى: قوي، عزيز، عالم الغيب والشهادة، قاهر فوق عباده، على كل شيء قدير، وترانا لا نثق بالله كثقة الناس ببعضهم بعض تقريباً.

إذاً هذا هبوط كبير في موضوع ماذا؟ هل في موضوع الإيمان بأنه قوي عزيز، أو فيما يقتضيه الإيمان بأنه قوي عزيز؟ بمعنى: أن الإنسان لا بُد أن يكون دائم التذكّر، يذكّر نفسه، يستشعر دائماً مقتضى إيمانه؛ لأننا نقول: لا يوجد في دين الله – على حسب ما نفهم – أشياء اعتقادية بحتة، كلها اعتقادات تتحول إلى عمل، كل الدِّين عمل، كله عمل، حتى توحيده هو في الأخير دفعة عملية في اتجاه مُعيَّن، توحيد الله سبحانه وتعالى، وهكذا، لا يوجد أشياء اعتقاد لمجرد الاعتقاد حتى الإيمان باليوم الآخر، الإيمان باليوم الآخر أليست تعتبر قضية إيمانية يعتقدها؟ لكن لها أثر عملي هو: أنك هنا تلتزم؛ لأن هناك الآخرة قدِّمت بالشكل الذي يدفعك إلى الالتزام هنا، الترغيب على أعلى مستوى، والتخويف على أعلى مستوى، الترغيب والتخويف هو ماذا؟ يعطي دفعة عملية هنا (استقامة) هنا ستنتهي الاعتقادات كلها إلى عمل.

﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾(البقرة:٣٢) عليم حكيم إذاً أسلوب من الناحية العملية قد تجد الإمام علياً عليه السلام طبَّقه تقريباً في (صفين) في صفين حصلت هذه الحالة، أي: في موضوع القرآن، هو قال لهم: إن الآخرين ليسوا بأهل القرآن – عندما بدأ عرض المصاحف، عرضوا المصاحف وطالبوا بتحكيم كتاب الله! قال: هؤلاء ليسوا بأهل كتاب – قالوا: (أبداً، لا بُد أن تجيبهم، لا بُد من تحكيم ومحكمين) قال: بشرط أن يحكموا بكتاب الله، كيف انتهت المسألة؟ بأن أولئك ليسوا بأهل كتاب أليست هكذا؟ ليسوا بأهل قرآن ولا لهم علاقة بالقرآن، أليست المسألة انتهت إلى هذه؟

إذاً هذه المسألة انتهت هنا إلى ماذا؟ ﴿سُبْحَانَكَ﴾ قدَّسوا الله سبحانه وتعالى ﴿لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ هم فهموا أنه لا يزال هناك أشياء أخرى هم يجهلونها في موضوع العبادة، في موضوع أدوار أخرى وعلى أساس العبادة، كل العبادة تنتهي إلى ماذا؟ إلى الله سبحانه وتعالى، الشهادة بكماله بأنه الملك، أنه القادر، أنه الإله، أنه العزيز، أنه الحكيم، أنه الخالق... إلى آخر ما تعنيه أسماؤه الحسنى.

﴿قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَائِهِمْ﴾(البقرة:٣٣) أليسوا هنا جهلوا الموضوع؟ جهلوا الدور المنوط بهذا المستخلَف ﴿أَنبِئْهُم بِأَسْمَائِهِمْ﴾ أي: بأسماء هؤلاء، ليس معناه أسماء الملائكة، هي أشياء قد تكون مثلاً من هذا العالم أي: أنه هو بحاجة عندما ينزل إلى الأرض أن يعرف أسماء، يعرف كيف يتعامل معها، وقد يُعرَّف ربما على أدوار أشياء منها، هذه اسمها كذا، وهذه تؤدي إلى كذا، وطريقتها كذا، ومهمتها كذا...إلخ، بمعنى: أن استخلاف الإنسان على هذه الأرض هي قضية مرتبطة بمظاهر هذه الحياة؛ ولهذا يقول الله في القرآن: ﴿سَخَّرَ لَكُم مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾(لقمان:٢٠) استخلاف الإنسان على هذه الأرض داخل هذا البناء الذي يمثله في القرآن أشبه شيء ببيت، هذه الأرض مع هذه السماء، هذا المنزل الكبير، استخلافك فيه مرتبط بمحتوياته، ومن خلال تعاملك مع محتوياته وفق هديه سيظهر نمط للحياة بشكل راقٍ، تعاملك مع محتويات هذه الأشياء ينتهي في الأخير إلى شهادة بكمال الله كيفما كان التصرف، كيفما كان التصرف في الأرض ينتهي بالشهادة بكمال الله سبحانه وتعالى ووحدانيته وألوهيته.

إذاً فالشيء الذي ينبغي أن يُفهم: أن استخلاف الإنسان في هذه الحياة ليقوم بدور له غاية مرتبطة بمظاهر هذا المحيط الذي هو فيه، الأرض والسماء، مرتبط به. ثم يأتي في الأخير تقديم للدِّين يفصله عن هذا كله تقريباً، ويأتي الدور معكوساً، أي: النظرة التي قد تكون حصلت عند الملائكة في موضوع الدور العبادي، مجرد تسبيح وتقديس وصلاة وصيام فقط هذه الأشياء! فيتصور هؤلاء: (أن الله سخر هذه الأشياء كلها من أجل أن تصلّي وتسبِّح وهذه العبادات المُعيَّنة!) لا، هذه عندما تنظر إليها هي قد تراها فقط نموذجاً مستخلصاً مما عليه الملائكة في هذا الجانب الآخر، الصلاة فيها ركوع وسجود وقيام وفيها تسبيح وتكبير، أليس فيها نموذج،

نبذة؟ الملائكة يقول عنهم الإمام علي عليه السلام: بأنهم (منهم سجودٌ لا يركعون، وركوع لا ينتصبون، وصافّون لا يتزايلون، ومسبِّحون لا يسأمون). ﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لاَ يَفْتُرُونَ﴾(الأنبياء:٢٠) باستمرار!

لو كانت المسألة هنا تستدعي تسخيراً من هذا النوع لكان الملائكة هم الذين يُسخر لهم ما هو أوسع من هذا؛ من أجل ذلك الدور الذي هم عليه، كونهم قياماً لا يركعون وركوعاً لا يقومون وسجوداً لا ينهضون ﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لاَ يَفْتُرُونَ﴾ أعطي الإنسان نبذة من الجانب العبادي على النحو الذي عليه الملائكة، أعطي خلاصة: قيام، ركوع، سجود، تسبيح، تكبير، ذِكر، أليست تلك عبارة عن خلاصة محدودة؟

إذاً هذا الدور الواسع في تعامل الإنسان على أساس هدى الله مع مظاهر هذه الحياة من حوله بما يتجلّى من خلال تعامله معها من شهادة بحكمة الله، بعلم الله، قدرة الله، تدبير الله، ألوهية الله، ملك الله...إلخ، موضوع واسع جداً جداً؛ ولهذا عُلِّم آدم، ماذا عُلِّم؟ هل عُلِّم (سبحان الله) أو عُلِّم أسماء أخرى؟ كما عُلِّم تسبيحاً وتقديساً عُلِّم قائمة من مظاهر هذا العالم الذي سينزل إليه، ألم يُعلَّم هذه أم علموه الصلاة؟! ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ هذه اسمها شجرة، هذه الشجرة اسمها كذا، هذا اسمه جبل، هذا اسمه كذا، على حسب اللغة، الله أعلم ما هي اللغة الأصلية؟ هل هي (السريانية) الأصلية أو ما هي؟ المهم قائمة بأسماء أشياء؛ لأنه سينزل وهو في نفس نمط حياة الإنسان الواسعة، الكيفية التي خلقه الله عليها كيفية واسعة، حاجياته واسعة.

أيضاً عندما يعيش كمجتمع تظهر حاجياته أوسع، تراه كائناً اجتماعياً عندما يكون بشكل تجمعات، أمم أيضاً تظهر سعة في مجالات حياته بشكل أكبر من أن يعيش حالة فردية، هذه السعة كيف تتناول؟ ماذا تتناول هذه السعة؟ أليست تتناول مظاهر الحياة من حوله؟ تجد هذه الحياة واسعة في أصنافها، وهل تجد صنفاً ليس للإنسان علاقة به؟ بأي اعتبار كانت العلاقة، مثلاً عندما تظهر اختلاف الحيوانات، اختلاف جلودها واختلاف أصوافها، ما بالك بالأشجار، كم فيها من أنواع مختلفة، وكم في كل شجرة من عناصر، الإنسان بحاجة إليها.

تلاحظ الحيوانات مثلاً في الصناعات الجلدية والملابس عندما تطور العلم في مجال واحد، في مجال الصناعات الجلدية وأشياء من هذه، كيف ظهرت فوارق كبيرة لقيمة جلد (الثور) وجلد (التيس الصغير) وجلد (الكبش) وجلد...إلخ، كلها لها مواقع في تلبية حاجة للإنسان، في تلبية حاجة لديه، أصبح لها مواقع متعددة، الأصواف لها مواقع متعددة في تلبية حاجاته، الأشجار كذلك، وكلما اتسعت حياة الإنسان هي تتسع أين؟ في التعامل مع مظاهر هذه الحياة، كل ما تعامل مع صنف من أصناف هذه الحياة سيوجدها من أين؟ من خلق الله، هو أودع فيها هذا الشيء الذي هو يلبي حاجة لديه، كلما تعامل معها تجلَّى من خلال تعامله ماذا؟ مظاهر لقدرة الله، لحكمة الله، لتدبيره، لألوهيته، لكل ما يعني الشهادة بكماله.

إذاً فالموضوع بالنسبة للإنسان لم تُسخر له السموات والأرض من أجل ثلاث تسبيحات في ثلاث في ثلاث خمس مرات في اليوم، وهناك ملائكة يملؤون أطباق السماء مسبِّحين الليل والنهار لا يفترون! ذلك دور وهذا دور، يقول: ﴿سَخَّرَ لَكُم مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾(لقمان:٢٠) سخرها كلها من أجل تسبيح ثلاث مرات! لو كانت المسألة بهذا الشكل لسخر لمن يسبح الليل والنهار لا يفترون ما هو أعظم من هذا، ألم يكن المفروض أن يسخر لهم ما هو أوسع من هذا؟

إذاً هذا جانب مُعيَّن أن تكون مرتبطاً بالله، بذكر الله، وتسير في تعاملك هنا على هذا الأساس، وأنت مستحضر، مستشعر لله، وكلما تعاملت مع مظاهر هذه الحياة زادت معرفتك بالله وإيمانك به، واتسعت مجالات حياتك، اتسعت ماذا؟ معرفة الإنسان بالله؛ ولهذا تأتي أخبار وقصص لأشخاص ممن هم علماء في (الطب) و(الهندسة) وفي (الفلك) أو في أيِّ مجال، منهم مَن يصلون إلى حالات من الإيمان بشكل عجيب، حالات عميقة من الإيمان بالله وبعضهم يُسلِم بآية واحدة.

يروي أحدهم قصة عن مسيحي (باكستاني) أو (هندي) لا أذكره بالتحديد، يراه العالِم المسلم إنساناً في حالة خشوع وتوجُّه إلى الكنيسة، يكاد يذوب، فقال له: ما بالك؟ فذكر له مظاهر من الحياة. قال المسلم: الله يقول في القرآن: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ * وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾(فاطر:٢٧، ٢٨) في الأخير قال: هل هذه في القرآن؟ قال: نعم، فأسلم، آمن بالقرآن وأسلم، بهذه الآية وحدها، قد صار معبأ إيماناً وخشوعاً من خلال تعامله مع مظاهر الحياة الواسعة.

ثم ترى في الأخير حتى جانب الدِّين نفسه (إقامته) حين تنظر إلى الدِّين مثلاً من جانب من جوانبه كقيم

ومبادئ تستقيم عليها الحياة، هو منهج تربوي، منهج أخلاقي، الاستقامة في الدِّين مرتبطة بمظاهر هذه الحياة، عندما نأتي نحن بعد عقود من الزمن، بعد قرون ونحن نَعِظُ الإنسان أن يبتعد عن هذه الدنيا وعن هذه الحياة، ثم في الأخير نقول: هؤلاء الناس نريد أن نواجههم، وهم متجهون لمحاربة هذا الدِّين. قالوا: (نحن لا نستطيع، هم معهم، ومعهم، ومعهم...) إذاً تعال معي إلى أنه ماذا معهم؟ معهم من أين؟ من هذه الحياة، هذه الآليات - التي تراها الآن تشغّل الباطل إلى أن يصل إلى داخل مسجدك أو مدرستك ليفرض عليك ثقافة باطلة ومنهجاً باطلاً - حديد، أليست حديداً؟ حديد وبلاستيك وقطع وأشياء، كلها معادن، كلها أشياء من هنا من مظاهر هذه الحياة، أمكن أن تشغِّل الباطل وتجعل للباطل كلمة تقهر المسلمين إلى داخل مساجدهم وإلى داخل مدارسهم، تصل إلى أعماق نفوسهم. أليست هذه كل ما وراءها من مظاهر الحياة؟ لم يرضوا أن يفهموا بأن الله قال عندما أنزل كتبه: أنه أنزل حديداً عندما قال: ﴿وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ﴾(الحديد:٢٥) تحدّث عن الحديد، تحدّث عن مختلف الأشياء التي لها علاقة بإقامة الدِّين، تحدَّث عن الإنفاق، تحدَّث عن إعداد كل ما يستطيعون من قوة.

تجد الإنفاق مرتبطاً بهذه الحياة، أليس الإنفاق معناه أشياء (ماديات) من الأرض؟ إعداد القوة أليس معناها إعداد ماديات من الأرض؟ الحديد أليس معدناً من أكثر المعادن توفراً في الأرض؟ يقول: ﴿فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ﴾ واحد من غاية إيجاده وإنزاله، ويأتي بعبارة تساوي إنزال الكتاب: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾(الحديد:٢٥) ألم يقل أنزل؟ وبعدها يقول: ﴿وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ﴾ الكتاب استقامته مرتبطة بماذا؟ بآليات من مظاهر هذه الحياة، منها الحديد، عندما ترى النصراني معه طائرة، حديد، أليست حديداً؟ معظم جسم الطائرة ومكوناتها حديد؟ معه دبابة، معه مدفع، معه، معه...إلخ، معه حديد؛ لأنك أنت لم ترضَ أن تشغِّل الحديد ليشتغل لك الكتاب حتى تقيم الكتاب بالحديد.

يأتي ينصرف عن هذه الأشياء كلها، إذاً أثبت الواقع هذا الارتباط: ارتباط إقامة الدِّين بمظاهر الحياة نفسها فوصلنا إلى هذه المرحلة، رأينا وبال أمرنا، أو نقول: عاقبة توجيهنا الخاطئ لانصراف الإنسان، إمَّا أن يأتي علماء ينشغلون بالموضوع الذي لا يعنيهم يطلِّعون لك عشرات أو مئات المجلدات في موضوع من مواضيع الدِّين واحد مثلاً في (الفقه) توسّع فيه واختلاف وأقوال متعددة، وكلام كثير فيه، وناسين ما هو يُعتبَر أساسياً في إقامة الدِّين وما عُلِّمَه آدم من قبل أن يُعلَّم كتاباً ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ أليس هذا أول شيء؟ قبل ربما أن يُعلَّم كتاباً أو يُعلَّم شيئاً، يُعلَّم أسماء هذه المظاهر هنا في الحياة.

فعندما تجد حياة الإنسان هو ككائن مخلوق وواسع تكوينه والكيفية التي هو عليها مرتبطة بمظاهر الحياة، والدِّين نفسه مرتبط: إقامته، ميدانه، أخذه ورده هي هذه الحياة، واقع الحياة ومظاهر الحياة مرتبط ارتباطاً كاملاً، وفي الأخير يأتي توجيه يفصل الإنسان عن هذا كله، وإذا بالدِّين لا شيء، وإذا بهذا الإنسان أصبح لا شيء، أمة ظهرت متخلفة جاهلة، تفتقر إلى كثير من مظاهر الحياة لا توجد لها وليست متوفرة عندها، ودينها ضائع، في الأخير شغلوا مظاهر الحياة، ظهروا على الناس بباطل، وإذا الحق أضعفناه بضعفنا، أو برؤيتنا القاصرة التي لم تنطلق على أساس ولو معرفة هذه السطور حول هذه القصة وَحْدَها؛ لأن قصة آدم واستخلافه وكلام الملائكة وهذه القصة وحدها تكفي بأن تعطي رؤية تبيِّن من خلالها أهمية دور الإنسان هنا، وأن دوره مرتبط بمظاهر هذه الحياة، ليس معنى مظاهرها مجرد الزينة، بل بالأشياء المودعة فيها، بتربتها، بمعادنها، بمياهها، بأجوائها، بسمائها، بشمسها، بكواكبها، وبكل ما فيها، بكل الطاقات الموجودة فيها.

﴿قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنبَأَهُم بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾(البقرة:٣٣) هنا يُنبِّهه على قضية هي موجودة، لاحِظ الأشياء التي ظهرت عند الملائكة، موجودة عند الناس، يقول لهم: أنا أعلم بما سيعمل الإنسان، هو يعلم غيب السموات والأرض، فأنت تقول شيئاً وهو من البديهي أن يكون معلوماً لديه، أي: لستَ تنبِّه الله على قضية هي غائبة عنه، أن تقول بأن هذا المستخلَف سيُفسِد في الأرض ويسفك الدماء.

هذه تجدها أيضاً في تعامل الناس فيما بينهم من الأشياء الكثيرة المرهقة، بل هاجم القرآن الكريم هذا الأسلوب الذي كان يظهر من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) معه يسألونه عن أشياء هي بديهية

بالنسبة له - يقول: ﴿أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ - كانوا يأتون يسألون رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم): ﴿يَسْأَلونَكَ عَنِ الأَنفَالِ﴾(الأنفال:١) أليست هذه واحدة منها؟ ما حكم هذه الغنائم؟ وكيف ستعمل بأنفال الغنائم؟! كيف ستعمل بها؟! أليست من القضايا البديهية لديه: أن يعرف كيف يعمل وكيف يتصرف فيها؟

قضية أنه سيحصل من الإنسان فساد في الأرض وسفك دماء، من الذي أخبرهم بهذا؟ مَن؟ أليس الله هو الذي شرح المسألة؟ بعد ذلك يقولون: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ نسُوا أنه يعلم الغيب والشهادة؛ فانطلق السؤال بالشكل الذي يبدو وكأنهم يُذكِّرونه بقضية أو استفسار عن قضية هي من الأشياء المعلومة لديه، معناه: نسُوا ما يقتضيه إيمانهم بأنه عليم يعلم الغيب والشهادة، بل نسُوا أنه الذي علَّمهم هو أن الإنسان سيحصل منه هذه! هل هي قضية يمكن أن يعلموها هم من غير الله؟ نسُوا! لأن الله هو الذي سيعطيهم نموذجاً عن حياة هذا الإنسان في الدنيا كيف سيحصل؟ ليست المسألة على ما يقول البعض: (إنهم ربما عرفوا هذه من خلال أنه كان قبل الإنسان في الأرض مخلوق آخر لا أدري ما هي نوعيته (جان) أو غير الجن مخلوق آخر، وأنه حصل منهم سفك دماء، وحصل، وحصل...) لكن القضية لا تؤدي إلى هذا، لكانوا قالوا: احتمال أن يحصل كما حصل، أليسوا هنا قد عرفوا ﴿مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾ خاصة وهم يعرفون عن هذا المستخلَف نفسه أنه سيحصل منه كذا، من أين هذه؟ من خلال أن الله أطلعهم على هذا.

هذا يحتاجه الإنسان في عمله، وربما القرآن الكريم في أكثر من مقام فعلاً عرض ما حصل من الملائكة على هذا النحو، ثم عرض أيضاً بالنسبة للناس في أيام رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) ومن بعده ما كان يحصل من عند مؤمنين من تساؤلات مع النبي عن قضايا هي بديهية عنده، أو تساؤلات عن أشياء هي لا تُعتبَر ذات أهمية، لو كانت ذات أهمية لأطلعهم هو، مثلاً عن الأهلة ﴿يَسْأَلونَكَ عَنِ الأَهِلَّةِ﴾(البقرة:١٨٩) لماذا كل شهر هلال؟ كيف قال؟ أجاب عليهم بقضية معروفة لديهم: ﴿قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾(البقرة:١٨٩) هم يعرفون أنها مواقيت، هذا تأديب لو كان موضوع الهلال هذا ذا قيمة بالنسبة لكم ولو في هذه المرحلة؛ لأنه ربما قد يكون الإنسان في واقع عمله تتسع معارفه مع اتساع حركته، كلما اتسعت حركة الناس وانطلاقتهم الصحيحة اتسع تعاملهم مع أشياء كثيرة من مظاهر الحياة فاتسعت معارفهم، وهذه أحسن طريقة للمعرفة، وهذه مما يُسمَّى (بحث علمي).

تجد الدول الأخرى مثلاً (أمريكا) و(الاتحاد السوفيتي) سابقاً، هل طلعوا القمر لمجرد فضول؟ اتسعت شؤون حياتهم وشؤون دولتهم كأمة متحركة، اتسعت إلى ماذا؟ إلى أن تناولت تعاملاً مع أشياء متعددة، فأصبحوا يفكرون كيف يمكن أن يستفيدوا من القمر كمحطة لإطلاق الصواريخ، معهم صواريخ يفكرون في موضوع الوقود، موضوع عدو هناك إذا كانت القمر منطلقاً للصواريخ يمكن ماذا؟ أن تنزل على (الاتحاد السوفيتي) أو أيِّ بلد آخر بسهولة، قالوا: هذه أول فكرة كانت حاصلة عندهم في تفكيرهم أن يطلعوا القمر، كانت فكرة عملية ليست مجرد فضول.

منهج علمي في المعرفة بالنسبة للقرآن الكريم وهو معه أمثلة كثيرة، إذا حاول الإنسان أن يستبق الأشياء فستتحول الأشياء كلها عنده إلى مجرد جدل ونظريات وأبحاث جامدة فقط، مثل مدارس العرب الآن يتحدثون عن القمر، وعن صعود القمر، وأشياء من هذه، فاعتبرها عندهم مجرد نظريات جامدة وبحث وجدل ونقاش محله.

لكن الإنسان إذا انطلق انطلاقة عملية، كلما اتسعت دائرة عمله اعتبرها اتساعاً في ماذا؟ أليس اتساعاً في مجال مظاهر هذه الحياة، ويظهر بحاجة عملية إلى هذا الشيء أو إلى هذا الشيء، أو إلى هذا أو إلى هذا، فعندما يبحثه بروح عملية يكون أقرب إلى المعرفة.

﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ ﴿وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ الله أعلم ما هو، المهم أنه تجلَّى لهم أن ما أبدوه وما كتموه كان على خلاف ما تجلَّت عليه المسألة؛ فقالوا بعد: ﴿سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ فازدادوا هدىً وتسليماً.

فيفهم الواحد في خلاصة القضية بأن الشيء الإيماني مثلاً قُدِّم الموضوع هو لكل إنسان مؤمن بالله ويعرف ما يقتضيه إيمانه بالله، كان هذا يكفي الإنسان، يكفيه فعلاً، لكن فيما إذا حصل شيء آخر يكون ماذا؟ خلل فيما يقتضيه إيمانه مثلاً بأن الله عليم حكيم...إلخ، ألم يعدهم إلى قضية أساسها موجود لديهم، هم مؤمنون بأن

الله عليم حكيم، هل كان يوجد خلل في الموضوع: أنهم ما كانوا قد عرفوا بأنه عليم حكيم؟ بلى هم عارفون بأنه عليم حكيم، لكن الخلل جاء من نسيانهم مقتضى الإيمان، حصلت هذه النتيجة، في الأخير انتهوا إلى ماذا؟ إلى ما يجب أن يكونوا عليه، أليس معناه أعادهم إلى ما كان يجب أن يكونوا عليه من البداية؟ أي: أن الموضوع متوفر من البداية بشكل كامل أساساً، لكن هذه سُنة الله سبحانه وتعالى أن الهدى يُقدَّم متكاملاً.

كانت هذه تكفي، لكن افترض حصل شيء مُعيَّن أيضاً يأتي منه هدى، يهديك قبل الحالة الفلانية، قبل أن تعيش مشكلة، ثم إذا حصلت مشكلة سيهديك أثناء المشكلة، ثم يهديك بعد المشكلة؛ لأنه رحيم، ألم يجعل هنا من غلطتهم هذه وسيلة لأن يتعمَّق لديهم الإيمان، ويعرفوا كيف يجب أن يكونوا عليه بطريقة مستمرة؟ لم يكن هذا ناقصاً لديهم، أي: لم يحصل الخلل لديهم من نقصان شيء من لديه، لم يحصل هذا الخلل عندهم بسبب أنهم كانوا فاقدين لِمَا يجب أن يكونوا عارفين له من قبل بأنه عليم حكيم.

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ﴾(البقرة:٣٤) إبليس هو مع الملائكة وخوطب مع الملائكة وأُمِرَ مع الملائكة ويبدو أنه كان يدخل ضمن هذا الاسم، وإن كان جنسه مختلفاً وإن كان جنسه باعتباره مخلوقاً آخر، لكن في وضعيته في دوره في عبادته معهم قد صار يُطلَق عليه ما يُطلَق عليهم ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ﴾ هنا حصلت عند البعض مشكلة فقالوا: (إنهم جعلوا آدم قِبلة والسجود هو لله) ألم يقولوا هكذا؟ والله يقول: ﴿اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾.

هناك انتهوا مثل ما قلنا سابقاً في موضوع الملائكة مع الله، انتهوا إلى ماذا؟ ﴿سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ بقي ما حصل أو ما يُعتبَر أثراً من كلامهم، أو يوحي به كلامهم من ماذا؟ من ازدراء واحتقار لذلك المستخلَف، فليسجدوا له، هذه حصلت أيضاً بعد مع البشر أنفسهم، إخوة يوسف، ألم يحصل ازدراء؟ لماذا أن أباهم يحبه أكثر؟! وهم أقوياء، وهم كذا، وهم عصبة، ويوسف صغير ويحبه أكثر ويعطف عليه أكثر! يوجد حالة ازدراء، أبوه يحبه على أساس أنه جدير بذلك الحب وجدير بذلك التمييز لِمَا يرجوه أو لِمَا يتوسمه فيه من أن الله اجتباه، وأن تعامله مع ابنه على هذا النحو يجب أن يكون على هذا النحو تقديراً لِمَا منحه الله، أي: القضية مرتبطة بالله، هم حصل من جانبهم نوع احتقار، كيف انتهت المسألة؟ انتهت إلى: ﴿وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا﴾(يوسف:١٠٠) معنى هذا أن قضية الاحتقار قضية خطيرة.

الاحتقار قضية خطيرة جداً، لا تحتقر أحداً نهائياً، نهائياً لا تحتقر أحداً، إلاّ إنساناً هو جدير فعلاً بالاحتقار باعتبار ما هو عليه من سوء؛ إنسان مجرم، عاصٍ، فاسق، سيئ...إلخ، ممكن أن تحتقره على هذا الأساس، الناس فيما بينهم لا يكون هناك احتقار، ربما تحتقر شخصاً لا تدري في الأخير ولف الشريط حتى لا تدري في يوم من الأيام يَمرُّ بك موقفٌ صعبٌ فلم يعد يشكّل وقاية لك إلاّ ذلك الشخص!

هذا لو يأتي الإنسان إلى استخلاص أمثلة من هذه في الحياة، في التاريخ قد تجد شواهد كثيرة فعلاً حصلت على هذا النحو، بل أحياناً يظهر في موضوع الأيتام الذين يكبرون أيتاماً ويكون عمه أو أقاربه يذلونه ويحتقرونه ويهينونه وفي الأخير أحياناً لا تدري إلاَّ وقد صار هذا رجلاً عظيماً أو تاجراً، لا تدري إلاَّ وقد صاروا يعيشون على هامش ما لديه! بعض التجار حصلت لهم هذه، نشأ يتيماً وإذا بك ترى أولئك الذين حوله قد صاروا ماذا؟ احتاجوا أن يصلوا إلى مرحلة يخرون له سجداً ولو سجود حالة إذا لم يكن هناك سجود من هذا السجود الحقيقي، سجود حالة، سجود وضعية.

﴿وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا﴾ سبق أن عندهم ماذا؟ احتقارًا: ﴿لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلاَلٍ مُبِينٍ﴾(يوسف:٨) ماذا يعني ضلال مبين؟ أبوهم في نفس الوقت أن يحب كهذا، أليس معناه ازدراءً واحتقارًا؟ كيف كان المشهد؟ أربعين سنة - كما يقولون - وانتهوا إلى أن يخرُّوا له سُجَّدًا.

نأخذ من هذا درساً: أن الناس المؤمنين فيما بينهم لا يكون هناك احتقار أو ازدراء على الإطلاق، إذا بدر منك مثلاً احتقار، نوع مُعيَّن في نفسيتك، فاستغفر الله، تب. يستغفر الإنسان الله، احتقر الآخرين الظالمين المجرمين الفاسقين السيئين، هذه قضية، أمَّا الناس المؤمنون فيجب أن يكونوا على حذر من مشاعر الاحتقار مهما كان الشخص وهو يبدو في خط إيمان وتوجه إيماني، فتظن أن هذا (ماذا يمكن أن يعمل للإسلام؟!) ربما لا تدري قد يكون له دور أعظم من دورك، قد ربما يكون له دور هو يُعتبَر أساسياً في دورك أنت فتشهد بأن لولاه لَمَا كان لدورك أثر، وهكذا، أي: ربما قد تكون هذه خطيرة، أن أيَّ حالة احتقار وازدراء قد تنتهي بك المسألة إلى أن تسجد سجود حالة، لماذا؟ لِمَا وقع منك من ازدراء واحتقار؛ ولأنه لا يجوز من الأساس، إنسان مؤمن تفرح

به كمؤمن تقدِّره كمؤمن لا تظن أن هذا الشخص ماذا سيعمل للإسلام؟! افهم العمل في الإسلام بأنه واسع يحتوي كل القدرات ومن كل شخص، فالعمل في الإسلام هو بالشكل الذي يمكن للناس أن يتحركوا فيه.

إذا الآخرون الذين تراهم، وهم فعلاً لن يصلوا إلى حالة مواجهة مسلحة تقول لهم: أنتم أعينوا بأموالكم، أنت ارفع شعاراً، لن تجرؤ أن ترفع شعاراً، أنت ادعم بمالك لمن يطبعون الشعار، ولمن يرفعونه هناك، الإسلام قام بتشغيل الكل، ويكون لكل إنسان أثره في الميدان، أثره في نصر دين الله، وفي نفس الوقت يكون العمل على أنه يرفع الناس إلى أن تكون أدوارهم أكثر وأعظم وأعلى.

أي: لم تُقدَّم المسألة من البداية على فرضية تكون مثالية في الأخير: أن هذا الدِّين يفترض نوعيات مثل عمار بن ياسر مع شخص كعلي بن أبي طالب وإلاّ فليس هناك فائدة، الإمام علي ألم يكن يحرك الناس جميعاً؟ رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) كان يحرك الناس جميعاً، وكان يعرف الناس، ويعرف قدرات الناس وطاقات الناس؛ ولهذا تكون القضية بالنسبة للناس من ناحية المسؤولية تكون أسهل، أي: عندما يكون الناس في وضعية ليس لديهم شخصية على هذا النحو، تُعتبَر المسؤولية عليهم جميعاً؛ عندما يتوفر شخص على هذا النحو فيمكن أن يعذرك، أنت تُعتبَر معذوراً فعلاً؛ لأنه عادة أن رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) يعرف الناس جميعاً لم يكن يُكلِّف هذا أن يبرز كما يبرز الإمام علي، ولا يكلف هؤلاء أن يكونوا جميعاً على نوعية المقداد أو عمار أو... هو يشغل الكل.

عندما يأتي البعض ويقول: (يا أخي هؤلاء الذين يقولون: (الله أكبر...) هؤلاء لو يأتي قتال لَمَا عملوا شيئاً!) قل: هم الآن يقومون بعمل هام، متى ما جاء عمل أكبر، ربما - لأن الله سبحانه يتدخل في بناء النفوس، يُقوِّي النفوس، يُقوِّي الفهم والذكاء - ربما هؤلاء الذين تحتقرهم قد يكون لهم دور كبير ولو كانوا في أثناء رفع الشعار في مرحلة مُعيَّنة يرى أنه سيقوم بهذه، لكن لو تأتي قضية أعلى احتمال أنه سيضعف، ربما عندما يصدق مع الله أن الله يصل به إلى حالة فعلاً يصبح قوياً، هذه لها شواهد واقعية، من آمن مع رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم)؟ من كانوا مستذلين عند الآخرين، مستضعفين، أي: نتيجة الاستضعاف والاستذلال تكون معنوياتهم هابطة، أعطاهم الإسلام دفعة في رفع معنوياتهم أصبحوا أذكياء، عباقرة، فرساناً، أبطالاً. إذا صَدَقَ الإنسان مع الله فعلاً ترتفع معنوياته، إذا كان غير صادق مع الله تهبط معنوياته، ولو كان من أصول قوية تهبط معنوياته.

لذلك نقول في بداية الموضوع: بأن الناس عندما يكونون متحركين في عمل، لا يحتقروا أنفسهم بأن ليس لديهم شخصيات (ليس معَنا العالم الفلاني والعالم الفلاني، وفلان وفلان والشيخ الفلاني والمثقف الفلاني والكاتب الفلاني والصحفي الفلاني...إلخ) لا، افهم بأن الإسلام هو بدأ على هذا النحو، عباقرة قريش أولئك هم تهاووا في الأخير، الأشخاص الذين كانوا في نفوسهم ضعافاً، ويراهم الآخرون ضعافاً ويراهم لا شيء فعلاً أصبحوا هم عباقرة، أصبحوا أذكياء، أصبحوا أقوياء، وأصبح الكبار الذين كانوا يرون أنفسهم بأنه: (لا يمكن أن يستقيم هذا الشيء وما هم فيه، يرون أنه لا يمكن أن ينجح محمد وما هم فيه؛ إذاً عليه أن يتقبَّلهم بإملاءات من فوق ويكون هذا الدِّين متأقلماً مع مصالحهم، إذا أراد أن يكون هناك فاعلية لدعوته وتتسع للآخرين!) لا، هؤلاء العباقرة أصبحوا في الأخير لا شيء، وبرز الآخرون، جعلهم الله أذكياء وعباقرة وأقوياء ومهتدين...إلخ.

هذه قضية فهمُها يقي الناس من احتقار بعضهم بعضاً، بل يقي الإنسان هو نفسه من أن يحتقر نفسه، إذا كان في سبيل عمل لله فلا يحتقر نفسه، بمعنى ماذا؟ يظن أنه ربما لا يعمل للإسلام شيئاً! أُصدق مع الله، عندما تصدق مع الله، وتتفهم وتهتدي بهدي الله، يعطيك الله طاقات كثيرة وقدرات كثيرة وفهماً كثيراً وإمكانيات تجعل دورك واسعاً جداً أكثر مما يمكن أن تتوقع، أكثر مما كنت تتوقع أن تصل إليه، يظل الإنسان يحتقر نفسه ويظن أنه لا يستطيع أن يعمل شيئاً "ولا منه شيء" سيبقى هكذا دائماً، يبقى دائماً لا يرتفع، اعرفْ بأن الله يتدخل في القلوب ويُقوِّي النفوس، هو يربط على القلوب، ألم يقل: ﴿وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾(الكهف:١٤) وفي الطرف الآخر يقول: ﴿سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾(الأنفال:١٢).

الصناديد أولئك الكبار عندما برزوا في (بدر) من صناديد قريش، أبطال، أليسوا ذوي أصول قوية وأبطالاً؟ هنا جعلهم ينهارون وشدّ الآخرين؛ ولهذا بعضهم اندهش - عندما رأى ابن مسعود على صدره وهو إنسان كان يعتبره لا شيء - وهو في بدر وقد صار يخور في دمه، فتح عينيه وإذا بابن مسعود فوق صدره جالساً، فقال: (لقد ارتقيت مرتقىً صعباً) هذه قد تكون من هذا النوع، يرونهم فيحتقرونهم، يمر الشريط، هذا الشريط يأتي خطيرًا، وإذا بمن كانوا يزدرونهم ويحتقرونهم ويعتبرون أنهم لا شيء وفي الأخير يرون هذا الدِّين نفسه لا شيء

إذا لم يكونوا فيه هم، وليسوا مستعدين أن يكونوا فيه إلاّ بأن يكون هناك إملاءات مُعيَّنة، رأوهم فوق صدورهم في بدر!

إذاً الإنسان لا يحتقر أحداً ولا يحتقر نفسه هو وبدون غرور، أي: عندما نقول: لا تحتقر نفسك معناه أن يكون عندك ثقة بأنك عندما تخلص مع الله سبحانه وتعالى سيؤهلك للدور المنوط بك، والناس مهما تعددت كفاءاتهم واقعاً هذا من عظمة الإسلام أنه قابل – فعلاً – لأن ينصر بالناس الحاصل، هناك ثوابت مُعيَّنة يجب أن تتوفر: مثلاً طاعة لمن يقودهم، إخلاص لله، سير على هديه، هذه ثوابت أساسية، كونهم ضعافاً ليس لديهم شيء، هو من أسرة أو من طبقة تبدو ضعيفة أو محتقرة في المجتمع أو.. أو... كل هذه الـ(أو) ستنتهي في الأخير، أليس بلال حبشياً؟ كيف أصبح بلال؟ وغيره كيف أصبحوا؟ صهيب رومي، وفلان فارسي، وفلان... وترى صناديد فرسان العرب أصبحوا لا شيء، تهاووا؛ لأن الإنسان هو من خلق الله، والله سبحانه وتعالى هو الذي يصنع الإنسان فيما إذا اتجه على هداه بالشكل الذي يؤهله لدور هام في سبيله.

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ﴾(البقرة:٣٤) ليس المقام هنا أن تأخذ منه أن هذا يعني: (أن هذا الإنسان هو أفضل من الملائكة) ليست القضية بهذا الشكل، نقول: إذاً عندما أُمروا أن يسجدوا لآدم فمعنى هذا أن آدم (هذا المخلوق) يُعتبَر أفضل من الملائكة؛ إذاً فالمؤمنون مَن هم من بني آدم أفضل من الملائكة، هذه القضية ليس هناك حاجة لنتناولها، يجب أن نفهم من خلالها العبرة التي قد تكون سيقت من أجلها لتعطي عبراً كثيرة جداً، ودروساً كثيرة، ليس المقام أن الباري يعرض عليك أنواعاً مُعيَّنة وأنت تقول: أين أفضل؟ وأين أحسن؟ ليست هذه.

ولاحِظ كيف حصل بعدما قالوا هكذا؟ أمرهم أن يسجدوا لآدم، حصل احتقار، إذاً هذا مؤشر أن هذه قد تكون سُنّة، وفعلاً قد تلحظ لها أمثلة كثيرة في حياة البشر، ليست قضية فقط كانت في عهد آدم وما بين الملائكة وآدم.

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ﴾ هم أذعنوا، وهذه قيمة الإيمان في الأخير لا يؤدي إلى استكبار؛ لأنه لاحِظ ماذا انتهت الحالة إليه، انتهت الحالة وإذا هم رأوا بأن رؤيتهم تلك التي كانوا يرون أنفسهم صادقين – ألم يقل هناك: ﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾؟ – وإذا هي كانت خطأ، وكان قولهم هذا يكشف نقصاً لديهم في وعيهم، وفي الأخير انتهوا إلى أن يُؤمَروا بالسجود لهذا، سلَّموا، ألم يُسلِّموا وقبلوا وخضعوا لأمر الله سبحانه وتعالى؟ هذا يُعتبَر شرفاً عظيماً بالنسبة لهم.

لكن لاحِظ إبليس كيف كان إبليس نفسه: ﴿فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾(البقرة:٣٤) كيف انتهت المسألة بالنسبة لإبليس؟ تحول إلى لعين، مذموم، مدحور، مطرود، رجيم، ضال؛ بسبب موقف واحد لم يُسلِّم فيه لله؛ لأن مجمل هذه القصة هي حول ترسيخ التسليم لله، التسليم لله سبحانه وتعالى، مجمل ما تتركز عليه حول أهمية التسليم كي تكون واعياً من قبل لتعرف كيف تسلِّم في حالة الموقف الغريب، تكون أنت مستحضراً إيمانك مستحضراً مقتضيات إيمانك، إذا نسيت فسيحصل خلل كبير، إبليس ﴿أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ لأنه هناك ﴿قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾(الإسراء:٦١) ﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾(الأعراف:١٢) أليس هذا استكباراً؟

تلاحِظ هنا أنه لا يأتي الموضوع أبداً – أيُّ قضية – يبدو أن هناك نقصاً أو قصوراً أو تقصيراً من جانب الله على الإطلاق، تلحظها عندما قال لإبليس: ﴿مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾(الأعراف:١٢) أمره، وقال في آية أخرى: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾(ص:٧٥) أي: أنت تعرف القضية تماماً، أنا الذي أمر وأنا الذي خلقه، لا تقول ربما أني وجَّهت طرفاً آخر بأن اصنعْ بشراً، فذهب ذلك وجمَّع من تراب الأرض طلّع بشراً، وربما لم تكن القضية التي أريدها أنا! أنا الذي خلقه على النحو الذي هو عليه ومن المادة التي كوَّن منها، إذاً هنا لا يوجد عذر لإبليس، الملائكة كذلك ألم يقل: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾؟ ألم يقل: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ﴾؟ تجد الموضوع نفسه مع آدم ﴿وَلاَ تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ﴾(البقرة:٣٥) كل هذا يُبيِّن بأن الهدى من جهة الله سبحانه وتعالى لا يكون فيه تقصير أبداً ولا نقص على الإطلاق، بل يكون بيِّناً على أوضح ما يمكن أن يكون التبيين، يكون بيِّناً تماماً.

لاحِظ العبارة هنا لأنك تلحظ في هذه القصة: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ﴾ أليست هذه أشياء واضحة؟ أي: ليس طرفاً آخر قال له الله أن يقول للملائكة إنه سيحصل كذا وكذا، قال لهم هو، أي: علموا بما لا شك فيه

أن هذا القول من جهته: أنه سيجعل في الأرض خليفة. كذلك هنا أنه قال للملائكة بما فيهم إبليس هو بيَّن في مقام آخر بأنه أمر إبليس، ويعرف أنه أمره، إبليس لم يقل: "واللهِ ما دريت أنك أنت الذي أمر، أنا قلت ربما أنت أمرت واحد ثاني وهو أمر بأمر أبلغ مما تريد أو قاصر عمَّا تريد" أمره هو وخلق آدم هو ﴿بِيَدَيَّ﴾ أي: عبارة الاختصاص، أي: أنا، أنا، وليس طرفاً آخر كلفته بالمهمة حتى يكون لك عذر أو شيء من هذا.

هنا نفس الشيء مع آدم: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلاَ مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلاَ تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ﴾(البقرة:٣٥) أي: نستفيد من مجمل هذه القصة في هذا الجانب: أن الله سبحانه وتعالى عندما يتحدث عن موضوع الهدى أنه يهدي ويُبيِّن على أرقى مستوى وأوضح شيء، فعندما يحصل خلل، لا يحصل خلل بسبب تقصير من جهة الله فيما يتعلق بالتبيين أبداً ﴿وَلاَ تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ﴾.

وبعد هذا ترى بعض المفسرين يقول: (ربما فهموا أن النهي عن جنس الشجرة)! أليس الله هو يعلم بأن مثل هذا كان يمكن أن يكون عذرًا لآدم في الصورة؟ يقول: ﴿هَذِهِ﴾ أليست ﴿هَذِهِ﴾ هي تشخيص؟ تشخيص وعن طريق الإشارة إلى المنهي عنه بالذات، هو، هو، ليس معناه ولا تقربا شجرة كذا فقط، حتى يقولوا: إذاً فهموا النهي عن جنس الشجرة ولم يفهموا النهي عن تلك بخصوصها، أي: ماذا؟! أنه: ولا تأكل تلك الشجرة كلها التي في الجنة في جرعة واحدة أو ماذا؟! شخّصها: ﴿وَلاَ تَقْرَبَا هَذِهِ﴾ عندما يقول: ﴿هَذِهِ﴾ أليست إشارة إلى محسوس، إلى مشاهد، إلى معروف؟ ﴿هَذِهِ الشَّجَرَةَ﴾ هذه تعطيك مثلاً: أنه هكذا تبيين الله، هكذا هدى الله، هكذا دين الله؛ ولهذا سماه صراطاً مستقيماً وسماه هدى، وكلمة (هدى) أي: توضح الأشياء الأخرى، تُقدَّم المسألة فيما بعد وإذا صراط الله لم يعد واضحاً، ولم يعد دينه واضحاً، ولم يعد أحد يدري كيف، إنما كل واحد يقوم يبحث من عنده، وكل واحد يمشي على ما طلع في ظنه، طلعت ظنون، طلعت تخمينات، في الأخير ضاع الموضوع بكله.

هذه عبرة لنا بأنه بما في هذا دينه، بما في هذا هدايته كلها أنها تكون على هذا النحو: التشخيص التبيين الكامل ﴿وَلاَ تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ يُبيِّن لهم أيضاً أن ما سيحصل أنه نتيجة المخالفة فيما إذا أكلا من الشجرة، أنتم ستكونون من الظالمين، في آية أخرى يقول له: ستشقى، ستخرج من الجنة فتشقى، وضح له، هكذا، هي سُنة إلهية فيما يتعلق بالتبيين للناس، يُبيِّن القضية على أكمل طريقة وفي نفس الوقت ما سيؤدي، ما سيحدث، ما سيحصل للناس إذا لم يلتزموا بهديه.

تجد هذه تشخصت فيما بعد، جاء في آية أخرى عندما جاء بسياق القصة في موضوع آخر عندما قال: ﴿قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِنِّي هُدىً فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلاَ يَضِلُّ وَلاَ يَشْقَى﴾(طه:١٢٣) أليست وفق هذا الأسلوب: فتكونا من الظالمين؟ ﴿وَلاَ تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾(البقرة:٣٥) فيبين ما يمكن أن يحصل من خلال المخالفة أو نتيجة للمخالفة ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلاَ يَضِلُّ وَلاَ يَشْقَى * وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾(طه:١٢٣، ١٢٤).

﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾(البقرة:٣٦) ذكر في مقام آخر كيف عمل إبليس وأنه حذرهم من الشيطان نفسه بأنه عدو مبين لكما ﴿فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾(البقرة:٣٦) ثم تجد فيما يتعلق بأول السورة في موضوع الإيمان بالغيب، أن الإيمان بالغيب قضية أساسية في تحقيق التقوى بالنسبة للإنسان، ألم يذكر المتقين بأنهم يؤمنون بالغيب ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ﴾(البقرة:٣) هذه نفسها من الأمثلة أنه عندما لا يحصل إيمان بالغيب تستحضره أنت فإنه يحصل خلل في موضوع التقوى، فعندما يقول لآدم مثلاً: ﴿وَلاَ تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ لا تقربا هذه الشجرة فتخرج من الجنة، فتشقى، فيحصل كذا، كذا، أليس يحدثنا عن قضية غيبية، النتيجة هي غيبية؟ الإيمان بالغيب، ولذلك جاء بفعل مضارع ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾.

إذا لم يحصل عند الإنسان استحضار للقضايا الغيبية، نتائج كانت تأتي على أثر ما يحصل من عندهم من مخالفات أو مصاديق لوعد إلهي يحصل خلل في موضوع التقوى، ما الذي حصل عند آدم؟ ضعف في موضوع الإيمان بالغيب، ما هو الغيب؟ هو النتيجة التي ستحصل عندما يأكل من هذه الشجرة؛ ولهذا قال الله: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ﴾(طه:١١٥) - هذه مشكلة (النسيان) - نسي، ما الذي حصل عنده حتى أنساه الشيطان؟ أخذ وردّ وطلْعة ونزْلة وكل مرة كلام إلى أن توَّهه، نسي العهد إليه أن الشيطان عدو، نسي النتيجة لأن النتيجة غيبية، أليست غيبية؟ عندما يقول: ﴿فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ هذا غيب، المستقبل كله غيب بالنسبة لك، نسي النتيجة التي قد ذكَّره الله بها بأنها

ستحصل إذا أكل من هذه الشجرة، كان نسيانه للغيب، لم يكن مؤمناً بالغيب بحالة دائمة مستمرة، مستحضراً، حصل ماذا؟ ضعف في موضوع التقوى، وقع في ماذا؟ في النتيجة السيئة، أي: لم يَقِ نفسه.

نعرف أن الإيمان بالغيب أساسي جداً في تحقيق الوقاية، تحقيق التقوى؛ ولهذا قال: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾(البقرة:٣) وهذه واحدة من الأمثلة على الخلل الذي يحصل في جانب الوقاية، أي: ما الذي حصل لآدم؟ خسر الوقاية من ماذا؟ من الخروج من الجنة من العيش الرغد الذي هو فيه، من أن يكون من الظالمين، من أن يشقى، ألم يخسر الوقاية من هذه بسبب نسيانه للقضية التي كان المفروض أن يكون مستحضراً لها؟ وهي قضية غيبية، لم يكن مؤمناً بالغيب بمعنى مستحضراً في ذهنه النتيجة التي قال بأنها ستحصل، وإلا لَمَا رضي أن يأكل من الشجرة.

معنى هذا أنه يمكن أن يحصل شيء يتوّهك حتى تنسى، إمَّا أشياء تخوِّف؛ ولهذا أن الله هدّد المرجفين، المرجفون مثلاً صورة الإرجاف سيطلّع عندك حالة تنسيك ما يجب أن تكون مؤمناً به من وعود إلهية، تنسيك النتائج السيئة التي قد تحصل فيما إذا تأثرت بالتخويف فضعفت أصبحت مثبطاً، إذاً هذا جانب تخويف أو جانب ترغيب، هذه واحدة من الأشياء التي تعمي الإنسان فينسى، ترغيب، تطميع، أشياء كثيرة؛ حتى ينسى، أو تخويف، إرجاف إرجاف؛ حتى ينسى، هنا ماذا حصل لآدم؟ حصل له تطميع، طمَّعه ﴿هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لاَ يَبْلَى﴾(طه:١٢٠) ﴿إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ﴾(الأعراف:٢١) دلاهما بغرور: أخذ وردّ في أشياء هي ترغيب، حتى نسي، قال الله: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ﴾(طه:١١٥).

إذاً فيكون الإنسان دائم الاستحضار عندما يقرأ في القرآن الكريم إخباراً عن نتائج تحصل فيما إذا فرَّط أن يكون حذراً، أي: مؤمن بأن هذه القضية لا شك فيها، ومستحضراً وليس فقط مجرد إيمان إذا قلنا لك هل أنت مؤمن بالغيب؟ تقول: نعم، مستحضراً هذه، مستحضراً للغيب الذي يُعتبَر مصاديق للوعد الإلهي سواءً في إخلاف ما تنفق، أو في النصر والتأييد الذي وعد به من ينصره، إذا الإنسان مستحضر دائماً، لا يؤثر فيه تخويف فينسيه ولا ترغيب فينسيه؛ لهذا قدِّمت بالنسبة لآدم كواحد من الأمثلة، كيف أن التطميع الترغيب أنساه قضية هي غيبية، هذا له علاقة بين تفاصيل السورة (داخل السورة) وبين العناوين الرئيسية في أولها ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ﴾ إلى آخره.

﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾(البقرة:٣٦) ربما كانت هذه الجنة – لأن آدم خُلِق من البداية على أساس ليُستخلَف في الأرض، إذاً عندما يُخلق هو وزوجته ويقومون من أول يوم يُتركون في هذه الأرض – قد تكون الجنة عبارة عن مكان يعيشون فيها حتى يكثر أولادهم ويتفرَّع أولادهم تلقائياً في هذه الأرض لا يقوم هو بأعباء الحياة والمعيشة ولا يوجد إلاّ هو وزوجته، وفّر له مكاناً يستقر فيه، ليس معناه بأنه استخلف في ذلك المكان نفسه، مكان اعتبره مؤقتاً يعيش فيه؛ ولهذا يقول البعض فعلاً: إنها جنة في الدنيا، أي: مكان في الدنيا، وفر له مكاناً يعيش فيه، فيه الملبس فيه المأكل فيه المشرب، فيه كل ما يحتاج إليه؛ فينتجون أولاداً ويتفرَّعون، وأولادهم يتكاثرون في الدنيا، لكن حصلت هذه المشكلة؛ خرج ونزعوا عنهم ملابسهم.

هذه القضية فيها بالنسبة للإنسان أن يفهم أنه عندما استخلف في هذه الحياة أنه يجب أن يستشعر أنه مرتبط بالله ليهديه في مسيرته، وأن هذه الحياة إذا لم يَسِر على هدي الله فسيضل ويشقى، بحيث تكون هذه عنده مترسخة في الذهنية، مترسخة بشكل كبير، لا يظن أنه يمكن هو أن يهدي نفسه ويصلِّح هدى، أو يرسم طريقته هو هو، أبداً أنت عندما تستخلَف هنا يجب أن تسير على هذا الهدى، الهدى في الأخير يتمثل بتوجيهات إيجابية أو سلبية.

تجد مثلاً موضوع الضلال، موضوع الشقاء الذي حصل لإبليس وحصل لآدم، هناك أمر وهنا نهي، أليست توجيهات إيجابية، وتوجيهات في الجانب السلبي؟ لا تقرب كذا، اعمل كذا، أليس هذا خلاصة الموضوع؟ خلاصة الهداية: اعمل كذا، لا تعمل كذا، امشِ هنا، لا تمشِ هنا، هل هناك شيء وسط؟ هل هناك شيء آخر؟ هل هناك أسلوب آخر في التوجيه؟ لا يوجد، هو هذا يتمثل التوجيه، ينتهي إلى هذا النحو، يقال: اعمل كذا، لا تعمل كذا، قل كذا، لا تقل كذا، قال لإبليس: اسجد، ألم يأمره فلم يرضَ أن يسجد؟ تحول إلى ضالّ، سببُ ضلاله هو ماذا؟ مخالفته لهدي الله.

آدم قال له: ﴿وَلاَ تَقْرَبَا﴾ أليس هذا نهياً؟ ﴿هَذِهِ الشَّجَرَةَ﴾ ليفهم الكل أنهم عبيدٌ لله، وأنهم في مسيرتهم في

أيِّ عالَم كانوا (الجن) في أيِّ عالَم كانوا، والإنس في هذه الأرض، أنهم مرتبطون بالله أنه هو الذي يهدي ويرسم طريقة الإنسان في هذه الحياة وإلاّ سيضل ويتخبط، يعطيه درساً من أول يوم: ﴿وَلاَ تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ فتشقى، ستخرج من الجنة، سينزع عنك لباسك. خالَف فوقع في شقاء، ألم يقع في شقاء؟ يأتي بالآية في الأخير في الخلاصة: موضوع إبليس وموضوع آدم: ﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِنِّي هُدىً﴾ هو الذي يأتي بـ(قل كذا، لا تقل كذا، اعمل كذا، لا تعمل كذا) ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلاَ يَضِلُّ وَلاَ يَشْقَى﴾.

ما الذي حصل في أول عملية؟ ضلال من جانب إبليس فتحول إلى ضالّ مضل، وشقاء بالنسبة لآدم، تجتمع الأشياء بالنسبة للإنسان وبالنسبة للشيطان، بالنسبة للإنس والجن، الإنسان سيشقى ويضل، النتيجة كانت شقاءً وضلالاً من أول عملية انحراف عن هدي الله، يقول لهم: هذه طريقة ثابتة ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلاَ يَضِلُّ وَلاَ يَشْقَى﴾ لو فكّر هو يبتكر من عنده هدى، لو فكر هو أن يرسم طريقة، مهما عمل قد ربط المسألة به هو؛ ولهذا جاءت بضمائر مُكرَّرة ومرتبطة بالله: ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ﴾ ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِنِّي﴾ أليس يقول: مني؟ مني يأتيكم، ليس معناه أنتم يوكل إليكم، أنتم تفكرون في كيف تطلعونه، يأتيكم من عنده ﴿يَأْتِيَنَّكُم مِنِّي هُدىً﴾ (مني) الضمير يعود إلى الله ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ﴾ ومسألة: اتباع، تجد الموضوع هنا كله موضوع: اتباع، من تشخيص الهدى، وتبيينه على أرقى طريقة، يتلخص في الأخير إلى أن المهمة تبقى مهمة اتباع.

قُدِّم الموضوع بشكل آخر أنه: لا، حتى تعرف دين الله، أن تعرفه عن طريق بحث واطلاع "وقَلْب وَصَلْب" وأشياء كثيرة، وتعب وعناء، لا، هذه سُنة إلهية أنه يُقدِّم هداه بالشكل الذي لا يبقى أمام البشر إلاّ أن يتبعوا: ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ﴾(طه:١٢٣) أو ﴿فَمَنِ تَبِعَ هُدَايَ﴾(البقرة:٣٨) كلمة: ﴿تَبِعَ﴾ لا يوجد فيها معاناة البحث عن الموضوع؛ لأن من شواهد أنه لا يوجَد معاناة للبحث عن الموضوع أنه يُقدِّم القضية على أوضح ما يمكن، هذا مثل واضح: ﴿وَلاَ تَقْرَبَا هَذِهِ﴾ أليست هذه أول عملية توجيه؟ تأتي على أرقى صورة من التبيين، أول عملية أمر لإبليس ألم يأمره أن يسجد لآدم؟ وقدَّم هذه بعبارات واضحة وتبيين كامل.

إذاً هذه ترسم لك سُنة إلهية أنه على هذا النحو: يبقى مهمة الإنسان هو ماذا؟ أن يتبع ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلاَ يَضِلُّ وَلاَ يَشْقَى * وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾(طه:١٢٣، ١٢٤) ضلال في الحياة، ضلال معنوي وواقعي بالنسبة للنفس، ضلال في الحياة، ضياع بما فيه الضياع المعنوي يُسمَّى مجمله ضلالاً وشقاء.

﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ * قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِنِّي هُدىً فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾(البقرة:٣٧، ٣٨) هذه واحدة من ماذا؟ من ثمار اتباع هدي الله ﴿لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ لا يضل ولا يشقى.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾(البقرة:٣٩) يُبيِّن أبرز مثل للشقاء بعدما يأتي في آيات أخرى أنه يحصل شقاء من هنا، فأن يضرب مثلاً بالغاية التي تُعتبَر أقسى وأخزى شقاء، أبرز مثال للشقاء ﴿النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ معنى هذا بأن الإعراض عن هدي الله يؤدي بالإنسان إلى أسوأ مصير، إضافة إلى ما يأتي في هذه الدنيا، أسوأ مصير وأشقى شقاء يمكن أن يتصور وهو جهنم نعوذ بالله.

إلى هنا، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين.

[الله أكبر / الموت لأمريكا / الموت لإسرائيل / اللعنة على اليهود / النصر للإسلام]

تم هذا الإخراج الجديد بعد مزيد من
المراجعة والمقابلة مع (الكاسيت) الصوتي
بتاريخ: ٢٨ جمادى الآخرة ١٤٤٢هـ
الموافق: ١٠/ ٢/ ٢٠٢١م

الله أكبر
الموت لأمريكا
الموت لإسرائيل
اللعنة على اليهود
النصر للإسلام

بسم الله الرحمن الرحيم

دروس من هدي القرآن الكريم

ألقاها السيد / حسين بدر الدين الحوثي

قاطعوا
البضائع الأمريكية
و
الإسرائيلية

دروس من سورة آل عمران	الدرس الأول ٢٠٠٢/١/٨م	الدرس الثاني ٢٠٠٢/١/٩م	الدرس الثالث ٢٠٠٢/١/١١م	الدرس الرابع ٢٠٠٢/١/١٢م
دروس من سورة المائدة	الدرس الأول ٢٠٠٢/١/١٣م	الدرس الثاني ٢٠٠٢/١/١٤م	الدرس الثالث ٢٠٠٢/١/١٥م	الدرس الرابع ٢٠٠٢/١/١٦م
دروس معرفة الله				
الثقة بالله ـ الدرس الأول ٢٠٠٢/١/١٨م	نعم الله الدرس الثاني ٢٠٠٢/١/١٩م	نعم الله الدرس الثالث ٢٠٠٢/١/٢٠م	نعم الله الدرس الرابع ٢٠٠٢/١/٢١م	نعم الله الدرس الخامس ٢٠٠٢/١/٢٢م
عظمة الله الدرس السادس ٢٠٠٢/١/٢٣م	عظمة الله الدرس السابع ٢٠٠٢/١/٢٥م	عظمة الله الدرس الثامن ٢٠٠٢/١/٢٦م	وعده ووعيده الدرس التاسع ٢٠٠٢/١/٢٨م	وعده ووعيده الدرس العاشر ٢٠٠٢/١/٢٩م
وعده ووعيده الدرس الحادي عشر ٢٠٠٢/١/٣٠م	وعده ووعيده الدرس الثاني عشر ٢٠٠٢/٢/٤م	وعده ووعيده الدرس الثالث عشر ٢٠٠٢/٢/٥م	وعده ووعيده الدرس الرابع عشر ٢٠٠٢/٢/٦م	وعده ووعيده الدرس الخامس عشر ٢٠٠٢/٢/٨م
دروس متفرقة				
الصرخة في وجه المستكبرين ١٧/ ١/ ٢٠٠٢م	{اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلاً} ٢٠٠٢/١/٢٤م	الهوية الإيمانية ٢٠٠٢/١/٣١م	في ظلال دعاء مكارم الأخلاق (١) ٢٠٠٢/٢/١م	في ظلال دعاء مكارم الأخلاق (٢) ٢٠٠٢/٢/٢م
خطر دخول أمريكا اليمن ٢٠٠٢/٢/٣م	لتحذن حذو بني إسرائيل ٢٠٠٢/٢/٧م	معنى الصلاة على محمد وعلى آل محمد ٢٠٠٢/٢/٨م	معنى التسبيح ٢٠٠٢/٢/٩م	{وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى} ٢٠٠٢/٢/١٠م
{وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ} ٢٠٠٢/٢/١١م	الإرهاب والسلام ٢٠٠٢/٣/٨م	مسؤولية طلاب العلوم الدينية ٢٠٠٢/٣/٩م	خطورة المرحلة ٢٠٠٢/٣/١٦م	دروس من وحي عاشوراء ٢٠٠٢/٣/٢٣م
{وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ} ٢٠٠٢/٧/٢٦م	الثقافة القرآنية ٢٠٠٢/٨/٤م	آيات من سورة الكهف الجمعة ٢٠٠٣/٨/٢٩م	{وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ} ٢٠٠٢/٩/٢م	الإسلام وثقافة الاتباع ٢٠٠٢/٩/٢م
لا عذر للجميع أمام الله ١٤٢٢/١٢/٢١هـ	مسؤولية أهل البيت ٢٠٠٢/١٢/٢١م	أمر الولاية ١٨ من ذي الحجة ١٤٢٢هـ	يوم القدس العالمي ٢٨ رمضان ١٤٢٢هـ	دروس من غزوة أحد ذو الحجة ١٤٢٢هـ
آيات من سورة الواقعة ١٠ رمضان ١٤٢٣هـ	الشعار سلاح وموقف ١١ رمضان ١٤٢٣هـ	ذكرى استشهاد الإمام علي عليه السلام ١٩ رمضان١٤٢٣هـ	حديث الولاية ١٨ من ذي الحجة ١٤٢٣هـ	{وَأَقِمِ الصَّلاَةَ لِذِكْرِي} ١٤٢٣هـ
الموالاة والمعاداة ١٤٢٣هـ	{إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا}	الوحدة الإيمانية	{فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِنِّي هُدًى}	{وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِن رَبِّكُمْ}
من نحن ومن هم	دروس مديح القرآن من الدرس الأول إلى الدرس السابع من تاريخ ٥/٢٨ /٢٠٠٣م إلى تاريخ ٢٠٠٣/٦/٣م			
دروس شهر رمضان المبارك ١٤٢٤ هـ				
سورة البقرة: الآيات (٢١ـ ٣٩) ٣ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة البقرة: الآيات (٤٠ ـ ٦٦) ٤ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة البقرة: الآيات (٦٧ـ١٠٣) ٥ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة البقرة: الآيات (١٠٤ـ١١٤) ٦ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة البقرة: الآيات(١١٥ـ١٤٥) ٧ رمضان ١٤٢٤هـ
سورة البقرة: الآيات (١٤٦ـ١٨٦) ٨ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة البقرة: الآيات(١٨٥ـ٢١٤) ٩ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة البقرة: الآيات(٢١٥ـ٢٥٢) ١٠ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة البقرة: الآيات(٢٥٢ـ٢٧٤) ١١ رمضان ١٤٢٤هـ	الآيات(٢٧٥من البقرة ـ٣٢ من آل عمران) ١٢ رمضان ١٤٢٤هـ
سورة آل عمران: الآيات (٣٣ـ٩١) ١٣ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة آل عمران: الآيات (٩٢ـ١١٦) ١٤ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة آل عمران: الآيات (١٦١ـ آخر السورة) ١٦ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة النساء: الآيات (١ ـ ٤٢) ١٧ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة النساء: الآيات (٤٣ـ١١٦) ١٨ رمضان ١٤٢٤هـ
سورة النساء: الآيات (١٣٥ ـ آخر السورة) ٢٠ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة المائدة: الآيات (١ ـ ٢٦) ٢١ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة المائدة: الآيات (٢٧ ـ ٥٧) ٢٢ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة المائدة: الآيات (٥٥ ـ آخر السورة) ٢٣ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة الأنعام: الآيات (١ ـ ٣٩) ٢٤ رمضان ١٤٢٤هـ
سورة الأنعام: الآيات (٣٩ ـ ١٠٢) ٢٥ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة الأنعام: الآيات (١٠٣ ـ آخر السورة) ٢٦ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة الأعراف: الآيات (١ ـ ١٣٧) ٢٧ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة الأعراف: الآيات (١٣٨ـ١٦٢) ٢٨ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة الأعراف: الآيات (١٦٣ ـ آخر السورة) ٢٩ رمضان١٤٢٤هـ